إلى القارئ

منذ ثماني سنوات خصصت هذه المجلة عددا « لحياة اللغة العربية » ساهمت فيه ثلة من أسرة « الفكر » وكبار المستشرقين فتناولوا اللغة العربية « بالبحث والتحليل وعالجوها بما يعين على معرفة مشاكلها ويعين الى حد ما على حل هذه المشاكل فتصبح لغتنا قادرة على مواكبة مفاهيم الحضارة الحديثة فى ميادين الفلسفة والعلوم الصحيحة وغيرها من المواضيع » (*) ٠

ومن أبرز المشاكل التى وقعت الاشارة اليها حينذاك « المشاكل العملية التى تعترضنا فى استعمال العربية ونشرها » وهى تتعلق خاصة بخلو حروف الطباعة العربية من الحركات وأثر ذلك فى القارىء المتوسط الثقافة ، مما يحول دون تعميم هذه اللغة فى الجماهير وانتشارها بين كافة الاصناف « وجعلها أكثر سهولة وأكثر تناولا عند الصغار والكبار » ٠ فما دامت الجرائد والمجلات وغيرها من المطبوعات تستعمل الحروف بدون وضع الحركات تبقى العربية قاصرة عن أداء وظيفتها كلغة حية بأتم معنى الكلمة ٠

ويسرنا أن قد وفق فى هذه الايام الاخيرة رئيس تحرير « الفكر » (**) الى استنباط طريقة عملية تضمن طبع النصوص العربية بحروف مشكولة وبنفس السرعة التى تطبع بها الجرائد والمجلات بحروف خالية من الحركات ٠ وهو اقتراح إن ثبت بعد الدرس ومحاولات التطبيق سيكون له أثر كبير فى اختصار المدة التى يقبع فيها الكتاب فى المطبعة بين الاصلاح والانجاز البطىء وفى سرعة تكوين اليد العاملة وانخفاض تكاليف الطبع وسيكون له بالتالى التأثير البالغ فى مضاعفة عدد القراء وترويج سوق الفكر ٠

ونحن لا يسعنا ، أمام هذه البادرة الطيبة ، إلا أن ننبه كتابة الدولة للشؤون الثقافية من جهة وجميع المسؤولين بهذه البلاد من جهة أخرى ، الى هذا الاقتراح حتى ينكبوا على دراسته ، خاصة وأن لجنة البحوث الاشتراكية تخوض فى هذه الآونة موضوع الثقافة ووسائل نشرها وتعمل جاهدة على وضع توصيات تكون كفيلة بضمان البعث الثقافى الحقيقى بهذه الربوع ٠

وبهذا تكون أسرة الفكر قد ساهمت منذ بروز المجلة وتساهم الى اليوم فى خدمة الثقافة الحق والنهضة الشاملة ٠

(*) السنة الخامسة ـ فيفرى 1960 ـ عدد خاص : حياة اللغة العربية ٠
(**) انظر باب ندوة القراء من هذا العدد وعددى مارس وافريل 1968 ٠

الفكر

تحية الربيع

شعر : أحمد المختار الوزير

لَبّيكِ ، هذا مَوعدي ، يا لوزتي ، يا مُلْهِمَهْ
يُطيفُ ، بي ، منكِ نداءٌ نَأْمَةٌ ، وهَينَمَهْ
أَسمعه ، في وحدَتي ، أُنشودةً مُنَغّمَهْ
تهفو ، له ، مَشَاعري ، لاهفَةً ، مُضطرِمَه
أَسمعه ، فأجْتَلي ، فيه ، جَلالَ العظمهْ
وأجتلي ، من الجمَال لَمْحةً مُرَنَّمَهْ
واجتلي ، من الوجود ، قصّةً ، ومَلْحَمَهْ

* * *

يَا لوزتي ، يا جَنَّةً ، من الحَيَاةِ ، مُفْعَمَهْ
فيكِ تَرَى نواظري ، من الربيع ، مَقْدَمَهْ
جئتكِ ، يَكسوكِ الضّحَى ، من وَشْيهِ ، مُسَهَّمَه
وحُلَّةً بيضاءَ ، من ذَوْبِ النّدى ، مُنَمْنَمَهْ
يا لوزتي ، هل تذكرينَ صَبْوتي المُنْصَرِمَهْ
هل تذكرين مَرَحي ونشوتي المبتَسِمَهْ

أَلهو، كما تَلْهو، هنا، قَـراشَـةً مُـنَعَّمَـهْ
ثَمْلى من العـطر الذي لاَذَتْ بـه مُحَوِّمَـهْ
ومن كؤوس، كالضُّحى، من الرَّحيـق مُـفعَمـهْ
ومن صَـفَـاءٍ مُشْـرِقٍ، يَـذُود ظـلَّ العَـتمَـهْ
جُـنَّتْ بِنَـورٍ فغَـدتْ شـاعـرةً، مُـتيَّمَـهْ
لولا تَسَـامي رُوحهـا لقَبَّلتْ، منـه، فَمَـهْ

* * *

هل تذكرين، من شبابي، غُـرَّةً مُـرْتَجَمَـهْ
وأَملاً، لولاك، كـادتْ ظُـلمتي أَن تَحْسِمَـهْ
جئتُ، فأحييتْ وقفتي آمـالِيَ المـحَطمَـهْ
فعـادَ، لي، ذاكَ السَّنـا وعـادَ، سحرُ الكلمَـهْ
وعاد، لي، الحبُّ، وعادتْ نغمـاتي المحكمَـهْ
يـا لوزتي، يـا قُدُسي، يـا جَنّتي، يا ملهمَـهْ
هـذا الربيـع، انّني هنـا، أحيّي مَوْسمَـهْ

أ. خ. و.
68 – 3 – 23

سعيد أبو بكر وغربة جيل

بقلم : احمد خالد

I) التعريف بسعيد أبي بكر :

I) في المكنين :

سعيد أبو بكر (*) من مواليد بلدة المكنين بالساحل نشأ بها يوم 28 اكتوبر سنة 1899 وتربى هناك في رعاية عائلة طيبة متواضعة وتعلم على غرار اقرانه في صباه نصيبا من القرآن ثم التحق بالمدرسة القرآنية حيث تعلم اللغة العربية ومبادىء العلوم الاسلامية وشيئا من اللغة الفرنسية ٠ واهم من ذلك كله ارتكاز تربيته في وسطه العائلي وبين المثقفين ببلدته على اسس الاخلاق الاسلامية ومحبة الوطن ٠

ومنذ صباه بدت عليه ملامح النجابة والشاعرية المبكرة وكان ذلك جالبا لأنظار اقرانه ومعلميه اذ بدأ يقول الشعر وعمره احد عشر عاما ٠ وفي تصديره للسعيديات (ديوان أبي بكر الجزء الاول) ساق الشيخ راجح ابراهيم نموذجا من شعر سعيد وهو ما يزال بالمدرسة الابتدائية وذكر انه كان يضيق بتشطيبات معلمه لاناشيه فتوصل الى الجبر المعلم على عدم مس انشائه بالتجائه الى الشعر في كتابة الموضوع فكان المعلم لا يمس قصيدته خوفا من ان يختل الوزن والقافية ٠ ورغم ما في تلك الشهادة من مبالغة على الطريقة التقليدية ، فانها دالة على نباهة سعيد أبي بكر واتجاهه بالطبع الى قرض الشعر منذ سن مبكر ٠

وجدير بالذكر ان سعيدا أبا بكر لم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي غير انه كان طلعة يدهش اصحابه بسعة معرفته واتساع افاقه وكان عصاميا وصحفيافطنا (Autodidacte) يلتهم الجرائد التونسية والشرقية التي تصله وتصل الى ثلة من اعيان بلدته والمثقفين هناك ، والصحف كانت اذاك لا تخلو اعمدتها من قطع ادبية واشعار اصلاحية سياسية واجتماعية ٠ وفيها كان يقرأ سعيد ــ حسب شهادة والده الروحي الشيخ راجح ابراهيم ــ اشعار

(*) الجزء الاول من الدراسة التي قدمها الاستاذ أحمد خالد في نادى « أبو القاسم الشابي بالوردية » امسية يوم 21 جانفي 1968 بمناسبة ذكرى وفاة الاديب المناضل سعيد أبي بكر العشرين ٠

صبرى وشوقى وحافظ وخليل مطران والرصافى وعريضة وشكيب ارسلان والخورى والزركلى والكاظمى والزهاوى والشبيبى وغيرهم من شعراء وادباء الاصلاح فى الشرق العربى وفى تونس .

ذلك الادب الاصلاحى الملتزم هو الذى غذى سعيدا أبا بكر ، ووضع بلاده السيء فى مطلع هذا القرن هو الذى حرك فى شيء من الالم قريحته وعقله ، فراح يكتب العديد من المقالات وينظم « الزهرات » والقصائد لتحريك سواكن الرقدة وانعاش نفوس الخاملين وايقاظ الهمم .

وان سعيدا أبا بكر ليعتبر من رواد ادب الالتزام فى ادبنا التونسى المعاصر وله فن شعرى (Un Art Poétique......) فى هذا الغرض يوضح مفهوم الادب عند سعيد أبى بكر وهو قصيده بعنوان «ايها الشعراء الى نهضة بالشعب قبل مماته» حيث ينتقد القوالب المهترئة والاغراض التقليدية من مدح وهجاء ورثاء وغزل اجوف . وادبه هو صوت تونس فى انينها وبكائها ، فى بأسها وأملها ، معبرا عن شعور التونسيين الايقاظ فى الثلث الاول لهذا القرن بخاصة .

2) **اتصاله بالشيخ راجح ابراهيم فى سوسة :**

ذكرت فيما تقدم الشيخ راجح ابراهم وقلت انه والد سعيد أبى بكر الروحى . اجل لقد كان كذلك . اتصل به الاديب الشاب فى مدينة سوسة ليعمل فى مكتبه وكان الشيخ راجح ابراهيم يحترف المحاماة (كان وكيلا شرعيا) . ورغم موقفه الجائر فى قضية الطاهر الحداد اذ تهجم عليه فى « النديم » قبل ان يقرأ كتابه « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » ، كان الشيخ راجح ابراهيم يعتبر احد اعلام الحركة الاصلاحية فى مطلع هذا القرن بتونس وكان مكتبه منتدى يلتقى فيه الادباء والمثقفون والمشتغلون بالسياسية والمهتمون بالاصلاح والصحافيون بالساحل ليستعرضوا الوانا من الادب ويخوضوا فى شتى المواضيع التى كانت تشغل بال التونسيين الايقاظ زمنئذ .

وهذا الاحتكاك الاول بالشيخ راجح ابراهيم وجماعته مكن سعيدا أبا بكر من اكتساب ثقافة وخبرة بالامور السياسية والاجتماعية ووجهه الى الادب الاجتماعى والسياسى والاصلاحى . واذاك بدأ ينشر قصائده السياسية والاجتماعية فى جريدة « صدى الساحل » للحاج اسماعيل بن حميدة منذ سنة 1921 ، وبعدئذ اخذ يراسل الصحف التونسية الوطنية وعددها اذاك كثير كالنديم والصواب والوزير والنهضة ولسان الشعب ومرشد الامة والزمان والحاضرة .

3) **انتقاله الى العاصمة :**

ثم انتقل الى العاصمة واستقر بها الى ان توفى يوم 29 جانفى سنة 1948 ،

وهناك كان يعمل في مكاتب بعض المحامين لضمان قوته ويوجه اهتمامه الى النشاط الصحافي والحزبي وقرض الشعر وكان يحترف مهمة الصحافة ويعمل ايضا مراسلا متجولا • وفي العاصمة كانت تربطه بحسين الجزيري صداقة متينة فكان ينشر في جريدة « النديم » « زهرة بعد زهرة » ، والزهرات هي خواطر شعرية اجتماعية وسياسية •، ثم وقعت بينه وبين حسين الجزيري جفوة ، فانسحب من « النديم » وجمع زهراته في كتيب • وكان يرتاد مقاهي باب سويقة ليلهو بلعبة الطاولة (الشيش بيش) ويجلس في مكتبه وهو دكان صغير بنهج الباشا •

2) آثار سعيد أبي بكر :

جل اثاره منشور ، لكنه مبعثر في الصحف والمجلات ولا شك ان قسما منه يوجد مخطوطا عند اهله واصحابه ، وتلك هي علة جهل التونسيين لسعيد أبي بكر وادبه بعد عشرين سنة من وفاته • وليس ضياع الاثار او بقاؤها مبعثرة في الجرائد والمجلات او مخطوطة امرا خاصا بآثار سعيد أبي بكر ، بل هو مصيبة ادبنا التونسي في العصر الحديث منذ مطلع ما اصطلح على تسميته عصر اليقظة او النهضة وبخاصة في الثلث الاول لهذا القرن • فمذا نعرف عن الدوعاجي وكرباكة وسعيد أبي بكر والعريبي والبشروش ومحمد الجعايبي وسالم بن حميدة وغيرهم كثير ؟ نكاد لا نعرف عنهم شيئا • اما الشابي فقد كان في عصره محظوظا وما زال ولن يزال لسيرورة شعره وانتشاره في تونس وخارجها لما في شعره من نفثات انسانية خالدة تتعدى حدود المكان والزمان • وشعر سعيد أبي بكر وبعض آثاره النثرية يمكن ان يكتب لها البقاء لما فيها من نفثات انسانية خالدة وان كان يرى الدارس ان جل اثار سعيد مقصورة على الشعب التونسي في فترة من فترات تاريخه الحافل بالاحداث في هذا العصر •

أ ـ كان ينشر باستمرار مقالات في جريدة « لسان الشعب » تحت عنوان « من النافذة » ويجد الباحث في جريدة « لسان الشعب » بين سنتي 1927 و 1928 عدة مقالات متعلقة بخصومة شخصية اثيرت حول كتاب « الادب التونسي في القرن الرابع عشر » للمرحوم زين العابدين السنوسي بين هذا المؤلف وأحد من ترجم لهم في كتابه اعني سعيدا أبا بكر • ولئن كانت تلك الخصومة شخصية اكثر منها ادبية وعاطفية لا تخلو من تطرف وحيف ، فانها تمكن الباحث من الخروج بفكرة عن مفهوم النقد المنقلب خصاما واحيانا سبابا منحرفا عن منهاج النقد الصحيح عند اديبين من ادباء تونس الناشطين في الثلث الاول لهذا القرن : وكذلك تعينه كتابات هذه الخصومة على تصور بعض الملابسات التي حفت بتأليف كتاب « الادب التونسي في القرن الرابع عشر » ومعرفة صداه في تونس وفي الجزائر وفي المشرق ، وقد نشرت تلك المقالات وقدمت لها في مجلة الفكر عدد أفريل 1967 •

ب ـ وطبع سعيد أبو بكر الجزء الاول من ديوانه « السعيديات سنة 1927 ، وبصفته شاعرا قد واكب احداثا من تاريخ نضال شعبه فى الثلث الاول لهذا القرن تركت اثرا فى نفسه وسجلها فى قصائد رائعة ، فانه ابقاها للجزء الثانى من « السعيديات » الذى وعد بطبعه فى كلمته بالجزء الاول ، ولكنه لم يكتب له الظهور ·

ج ـ وجمع خواطره الشعرية المنشورة فى جريدة « النديم » فى كتيب يحمل عنوان « الزهرات » ·

د ـ ورحل الى الجزائر والمغرب ونشر فى « لسان الشعب » بين سنتى 1927 و 1929 ارتسامات عن رحلته فى حلقات متسلسلة بعنوان « عشرون يوما فى عمالة قسنطينة » ·

هـ ـ وزار بلاد الاندلس ونشر عقب عودته منها كتابا بعنوان «دليل الاندلس كانك تراها» ولا غرو ان يحن سعيد أبو بكر الذى كان يقاسى قساوة الغربة فى وطنه ويتالم من ذلك ويعبر عن قلقه لشعوره بهول الهوة الفاصلة بينه وبين وطنه رغم انه كان يعيش على أديمه ، قلت لا غرو ان يحن الى الفردوس المفقود هنا فى تونس وهناك فى الاندلس » فهناك لقاء مع التاريخ وهنا اصطدام بالواقع المر زمنئذ ·

و ـ وتسوغ امتياز مجلة « العالم » وليست « العالم الادبى » لزين العابدين السنوسى ، تسوغ امتيازها لمدة ثلاث سنوات ولكنه لم يصدرها الا مدة سنة ونصف فحسب لان صاحب المجلة فسخ العقد ·

ز ـ ونشر بصفته مراسلا متجولا لجريدة « النهضة » فصولا وصفية لمؤتمر قصر هلال التاريخى المنعقد يوم 2 مارس 1934 ، ذلك المؤتمر الذى وجه الحركة الوطنية وجهة جديدة وابرز فلسفة فى الكفاح اخرجت القضية التونسية من الوحل الذى ارتطمت فيه طويلا وامضى تلك المقالات باسم مستعار هو «دستورى محايد» وسر تستره وتقيته هو خوفه اذاك ـ وهو من الناشطين فى الحزب الدستورى القديم ـ من مطاعن الرجعيين ورجال اللجنة التنفيذية الذين كانوا يضغطون على حرية الفكر ولا يعرفون اداب مناقشة الرأى ، ولا يترددون فى الصاق تهمة الالحاد بمن يجرؤ على انتقاد طرق عملهم المهلهلة داخل الحزب كما فعلوا مع الطاهر الحداد سنة 1930 اثر صدور كتابه « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » وقد عرضت تفاصيل الخصومة وبينت اسبابها فى باب طويل من كتابى « الطاهر الحداد والبيئة التونسية فى الثلث الاول من القرن العشرين » ·

ومقالاته هى بحق وثائق هامة تعين المؤرخ على تصور الظروف والملابسات التى حفت بتصدع اللجنة التنفيذية وانبعاث الحزب الحر الدستورى الجديد ·

وسعيد أبو بكر مدرك اهمية مقالاته الاخبارية التي تمد المؤرخ بشهادة عيان عن ملابسات وجو مؤتمر قصر هلال كما يتجلى ذلك فى قوله : وكتبنا عنه (اى عن المؤتمر) بدون تحامل وليست لنا غاية نسعى اليها الا تزويد المؤرخين بحوادث هذا المؤتمر وتغذية التاريخ نفسه بذكر الحوادث التي يجب ان يطلع عليها ابناؤنا واحفادنا يوم يريدون ان يدرسوا اعمالنا وقد صرنا ترابا » ٠

وتلك الفصول الوصفية لمؤتمر قصر هلال اعاد سعيد أبو بكر طبعها فى كتيب سنة 1936 ونشرها من جديد فى السنة الماضية السيد محمد الصياح مدير الحزب الاشتراكي الدستوري ٠

ح ـ وفى سنة 1937 اصدر مجلة شهرية بعنوان « تونس المصورة » وهى مرجع اخر هام لدراسة المجتمع التونسى والادب وسعيد أبى بكر نفسه ، وقد احتجبت تلك المجلة بعد شهر نوفمبر 1942 بسبب الاحتلال الالمانى ثم ظهرت من جديد فى سنة 1945 ٠

3) سعيد أبو بكر وغربة جيل :

فى التاسع والعشرين من جانفى سنة 1948 انتقل الى الرفيق الاعلى اديب مناضل من مواليد بلدة المكنين بالساحل التونسي بعد حياة دامت ثمانى واربعين سنة وثلاثة اشهر قضى اكثرها فى جهاد باسل بلسانه وقلمه ومواقفه الحاسمة وكان زينة النوادى بمدينة سوسة والعاصمة وفخر الادباء والصحافيين الايقاظ ، ما انفك يجهر بارائه الاصلاحية فى مجتمع عصره ويحرص على انهاض الهمم فى شعبه المستعبد المستكين وعلى مقاومة الجمود الفكرى والمادى والانحلال الاخلاقى والظواهر الفاسدة للمدنية المشوهة كما يشهد بذلك العديد من مقالاته فى الصحف والمجلات ومن قصائده كالتى تحمل عناوين « المرأة والاخلاق » و « الى الدرس » و « أفق الرزايا » و «أنت روح ذللوها بالجماد » و « رفقا بالانسان » و « البدع والاسراف » وغيرها كثير ٠

ولم يكن سعيد أبو بكر شاعر الوطنية الوحيد فى الثلث الاول لهذا القرن اذ طبع الجزء الاول من « السعيديات » لاول مرة سنة 1927 ، بيد ان شعره اشد لصوقا بشعبه من شعر جيله فى تلك الفترة الكالحة السوداء من تاريخ تونس السياسى والاجتماعي ، وادق تعبيرا عن افراحه واتراحه وامال الشباب المتيقظ واحلامه ، ويطالعك فى الجزء المطبوع من « سعيدياته » نضال مثالى فى سبيل صيانة كرامة امته المداسة واحيائها وقد خصها بقريضه فلا تكاد تعثر فى ديوانه على قصيد له فى غير الاجتماعيات والوطنيات ٠ ويسمعك سعيد أبو بكر انغاما جديدة هى تلحين عواطف وافكار الفئة الحية من التونسيين ، ويبث فى نفسك نفثاته ، فاذا هى اناث شعب معذب فى ارضه

واصطكاك جيل متمزق تمزقا أليما أمام الهوة التى تفصله عن وطنه ، تواق الى فجر جديد يستنشق فيه نسيم الحرية وينعم بفرحة الحياة ، مترقب منقذا جريئا يفك قيود الشعب وينهض به من كبوته ويحرك فيه ارادة الحياة وينفض عنه غبار عصور التدلى وينشط فيه القوى الحية الخلاقة الدافعة الى العمل الدائب والزحف فى سبيل التقدم وملاحقة ركب الامم المتحضرة ، وقد عرف سعيد أبو بكر ذلك المنقذ الجرىء فى شخص المجاهد الاكبر وجماعته فى « صوت التونسى » و « العمل التونسى » فانضم الى رواد الحزب الحر الدستورى الجديد فور بعثه كما تشهد بذلك مقالاته التصويرية لمؤتمر قصر هلال التاريخى سنة 1934 وللجو العام الذى مهده وكان قد نشرها سعيد أبو بكر فى جريدة « النهضة » واعاد نشر قسم هام منها السيد مدير الحزب الاشتراكى الدستورى فى السنة الماضية · ولم يفت سعيدا أبا بكر ملاحظة الاسلوب المبتكر الذى وجه الحركة الوطنية منذ ذلك الحين توجيها جديدا وفلسفة الكفاح التى سطرها المؤتمر لاخراج القضية التونسية من الوحل ·

وسعيد أبو بكر شاعر ثورى على غرار الادباء الشبان الايقاظ من جيله امثال أبى القاسم الشابى وعلى الدوعاجى والطاهر الحداد بخاصة ، ثائر بقلبه وبعقله على الاوضاع المتعفنة فى مجتمع عصره وعلى الظلم الخانق حينما كانت تونس تحت كابوس الاستعمار ، ثائر على القوالب والاغراض الشعرية المهترئة كما فى قصيده التاريخى بعنوان « ايها الشعراء الى نهضة بالشعب قبل مماته » (السعيديات ص 94) حيث يجهر بالالتزام التلقائى فى الادب اذ لا يتصور ادبا وشعرا الا من نفثات النفس الحساسة والضمير المتيقظ دوما لما يجرى فى العالم الخارجى من طبيعة والمجتمع المتجاوب مع البيئة السابر لمزاياها وعيوبها · فاسمعه يقول لشعراء تونس فى الثلث الاول لهذا القرن :

دعونا من الاطناب فى وصف غادة — دعونا من الاطناب فى مدح سيد
وكيف بدت سلمى وكيف تكللت — بكف خضيب او بحلى وعسجد
وهذى تفوق الغصن قدا وقامة — وهذا شقيق للسها والفراقد
فتلك لعمرى حبة اثر حبة — تصيب المعالى مقذفات بصائد
ووقت ثمين ضائع وهو صالح — وحبر وأوراق ضحية فاسد
فمن ذا أراكم شاكرين تكلفا — وعهدى بغير الحر غير ممجد
جدير بهذا خادم لبلاده — وفى غير نفع الشعب غير مكابد
خذوا تلكم الاقلام حطوا رحالكم — لديها وقوموا للهناء المخلد
وصيحوا بأقوام حيارى وقوموا — فسادا' ومدوا للبلاد بساعد
بذمتكم دين لها وكأنها — تطالبكم بالدين فى كل مشهد
حرام عليكم ان تعيشوا بظلها — ولا تسمعوها وهى مغلولة اليد
وعار عليكم ان تقولوا : حياتنا — رفقة يأس : لا قيام لراقد

الى خدمة الاوطان قد ضيع العلا   بنوها وحادوا عن كمال وسؤدد
الى نهضة بالشعب قبل مماته   الى قطع اسباب الهلاك المهدد

فهذا الاديب المناضل شاهد على عصره ، وادبه قد ساعد دون شك الى جانب أدب الشباب الحى من جيله مثل الطاهر الحداد وأبى القاسم الشابى — فى احياء الضمائر وانعاش النفوس وايجاد الوعى الجماعى والشعور بضرورة تغيير الاوضاع الفاسدة • وكانت ثوريته هادفة الى فك عقال الانسان التونسى وفتح افاق الخلق الفكرى والمادى امامه ليضمن لنفسه ولامته ما يصبو اليه الانسان الفاضل من عدالة وكرامة وحق • بيد ان ادبه ليس شاهدا فحسب على نضال جيل من شباب تونس فى النصف الاول لهذا القرن بل هو ما زال ولن يزال ينبوع وحى يستمد منه التونسى ارادة الحياة فى جهاده الاكبر لبلوغ الرقى الفكرى ، والمادى ، بعد ان تحققت أمنية سعيد أبى بكر الكبرى وأمنية جيل باكمله متمثلة فى خلاص الشعب من ذل التبعية •

لقد تألم سعيد أبو بكر عصرئذ — على غرار أبى القاسم الشابى والطاهر الحداد وعلى الدوعاجى فى سخريته الاليمة — من غربته فى وطنه البعيد عنه رغم انه كان يعيش فوق اديمه ، وعبر عن قلق جيل كامل من التونسيين الايقاظ كانوا يتمزقون تمزقا اليما افضى بعديد منهم الى موت مبكر • ويتجلى شعور سعيد أبى بكر بالغربة فى وطنه فى قصائد تغنى فيها بطبيعة تونس الجميلة التى كان يحس بها قوى احساس لبعده عنها وكذلك يتجلى ذلك الشعور بالغربة فى هروبه اليها واستئناسه بها وبثه اياها همسات أمله لمرأى شعب سائر نحو الرمس وهو عضو منه ووطن يتدرج به نحو الالحاق بفرنسا بواسطة التجنيس الذى قاومه سعيد أبو بكر فى قصائده ومقالاته وزهراته • فها هو الشاعر فى قصيده « الفتاة الباكية » (السعيديات ص 26 — 27) يخرج الى الطبيعة الحية الناطقة ويتخيل انه يرى بنتا جميلة ودمعتها من عينها تتنازل فيناجيها واذا هى تونس الجميلة تدعوه الى انقاذها من خطبها بهذه الهمسات المعسولة النافذة الى اعماق النفوس :

انا الزهرة التعساء فاح أريجها   وأوراقها من حزنها تتذابل
رآها رسول الموت تخشى خياله   فأصبح بالمرصاد لا يتنقل
أنا الغصن فى زهر الشباب يقصه   بقادومه الحطاب وهو مولول
أنا تونس الخضراء ويك ! الى متى   على السير فى نهج العلا تتغافل
كأنك لا تلقى المعرة اذ ترى   بلادك فى خطب ولا تتقلقل

وتلك الشكوى المليئة بالالم المهموس من خمود الشعب التونسى فى الثلث الاول لهذا القرن اذ طبع الجزء الاول من « السعيديات » سنة 1927 بعد ان جمعت جل قصائده وزهراته من الصحف التونسية تجدها فى قصيدة عذبة التوقيع بعنوان « أنت روح ذللوها بالجماد » يستهلها بمناجاة شحرور يشاركه فى لوعته وحرقته بهذين البيتين :

غــن يــا شحـرور لا تنحب معــى   أنـت تخلـق لمعــى لـلانتحـاب
خـل دمعـى ساكبـا مـن مـدمعـى   واحتفـل للطـل مـن دمـع السحاب

وفي تلك القصيدة يسمعك تأوهات شاعر يحترق لمرأى أمة فقدت الوعي الجماعي وصمت اذانها عن نداء المستنهض فكأنها فقدت الحياة :

مم تشكو ؟ أنت في العش تنـام   في ريـاض الحقـل في الفرش الوثير
آه ! لكـن مـا الـذي تنفـع آه   بين قـوم لـم يـزالـوا في جمـود
أخمـدت في ارضهـم ـ وا أسفـاه :   نـارهـم فاستملحـوا ذاك الخمـود
كلمــا أفهمـت شخصـا لا يعـى   أو جمـوعـا قابلـونـى بـالسبـاب

وتحس بألم سعيد أبي بكر وقلقه وأنت تسمع او تنشـد قصائـده حيث يسرى الحزن في غير صخب وتتدفق العاطفة الكئيبة وينبث الالـم في رقـة ذائبة ايحائية اكثر منها تعبيرية يحدثها الشاعر الفنان بطلاوة التعبير وعذوبة الكلام وحلاوة موسيقى الابيات وخفتها • ولا غرو ان يسمعنا انغاما جديـدة في مخمساته وموشحاته اذ انه عزاف على الكمنجة ماهـر خبير بالالحـان قد اكسبه عزفه على الكمنجة مهارة قول عذب الشعر رغم انه لم يدرس العروض والقوافي وانما كان شاعرا موهوبا يقول الشعر منذ الحداثـة بالطبع ويدهش رفاقه ومعلميه بحسن تصرفه في القريض •

وفي قصيد اخر تصويرى جميل لواقع الشاعر وجيلـه الملتـاع في تلك الفترة الكالحة السوداء المتناقضة من تاريخ تونس في العصر الحديث زمن معركة الزلاج ومخلفاتها والحرب العالمية الاولى والاضرابات والحوادث الدامية في سنتي 1924 و 1925 بعد رجوع محمد على وتزعمه حركة عمالية ذات اهداف اجتماعية وسياسية وغيرها من الاحداث ، يناجى سعيد أبو بكر زهرة جندلت وبكاها القضيب ويراها زينة نعش فيرجوها الا تفـوح ويهيب بهـا الا تكون زينة صدور الجامدين ويهمس اليها ان تقص في الخلود مأساة شبابه المعذب المقيد الغريب في وطنه بين شعب راكد لم يكن يجتاحه الـوعى الشـورى وان كان ينتفض بعضه من حين لاخر في غير نفس طويل • وهاك نفثات من قصيده « زهرة فوق نعش » (السعيديات ص 49) فاسمعها تعرب لك عـن حيرتـه وحيرة جيل كامل ، والحيرة ان لم تفض الى اليأس والسكون منعشة مبشـرة بالخير القريب والنجاة :

يـا زهـرة الـروض مـا لـى   أراك فـــوق اللحـــود
وطـالـمـا عفـت قبـلا   حتـى ريــاض الخـــدود
يــا زهــرة جنـدلـوهـا   حتـى بكـاهــا القضيـب
يــا ليتهـم صـدروهــا   حيـث المقــام يطيــب
لا تبعثـى الطيــب انــى   أراك زينـــة نعــش

لـديـك جـسـم ولكـن — بـه الى القبـر نمشـي
فـلا تكـونـي جمـالا — على صـدور الـرقـود
وان أردت انتقــالا — الـى نعيـم الخـلـود
فحـدثـي عـن شبـابـي — وعـن يـدي فـي القيـود

ولعل اهم ابيات معبرة عن حرقة سعيد أبي بكر وتمزق جيل كامل من شباب تونس عصرئذ امام هول الهوة الفاصلة بين المواطن التونسي ووطنه تتجلى في قصيد للشاعر بعنوان « بعد موتي » (السعيديات ص 63) حيث وصف جنازته وهو يحمل على الالواح الى الرمس وصور نفسه المعذبة في الحياة وبعد الممات لانه عاش في غربة وهو على اديم وطنه ومات وهو كأنه في دار هجرة لم يعد له وطنه الجميل ·

وههنا يركن الشاعر الى الطبيعة التي يحس بها قوى احساس لانها بعيدة عنه مغتصبة منه وان كان يعيش بين احضانها ، فيبث فيها ألمه ويدعو نفسه الشاردة بعد مفارقتها جسده ان تندبه وتفرخ من روعه بزهرات تلقيها فوق رمسه لتستريح رفاته من الامها · فالتمزق ـ كما ترى ـ يلاحق نفس الشاعر بعد الممات لان الشوق الى فرحة الحياة لم يزل عنها ، وفي ذلك اشد العذاب ·

فاقرأ معي قصيده بعنوان « بعد موتي » :

غالطي الناس يا حياتي اذا ما — أخبر الناس بعضهم بمماتي
واسكتي يوم يرفعون على الألـ — ـواح جسمي وكفكفي العبرات
وانظريني على الاكف وحولي — اهل ودي كأنهم في الصلاة
بعد حين سيجعلون فراشي — من تراب ومسندي من حصاة
ثم يلقون بي هناك وحيدا — وحياتي هناك نعمت حياتي

* * *

فارقي النزل في الصباح الى البسـ — ـتان كي تبصري جمال النبات
واجلسي تحت دوحة واذكريني — واندبيني هناك في الخلوات
واسمعي نغمة الكناري وقولي — كان يزهو بهذه النغمات
عليه البكاء بعدي ليسليـ — ـك اذا ما ركنت للزفرات
وانظري الجدول الجميل وقولي — كان يرنو لذاته ولذاتي
سوديه اذا استطعت ليغدو — شكله موجبا الى الحسرات
واقطفي الزهر ان أردت ولكن — حاذري ان تبعثري زهراتي
واجمعيها بكل لطف وضميها — لصدر معذب في الحياة
واذا أقبل الظلام وأمست — كل عين نخافها في سبات
فاسرعي نحو مضجعي وضعيها — فوق قبري لتستريح رفاتي

ـ للبحث بقية ـ
أ· غ·

شارب النهر

قصة بقلم : محمد رشاد الحمزاوى

شارب النهر حى قائم
فى خضرة جنته سعيد دائم
يراه ! يراه الى جنبه حائم
كل انسان ....

وقف عبد القادر بغتة عندما بلغ طريق السيارات المؤدية الى القلعة الجرداء ثم نظر خلفه تجاه كوخه الخاوى والى سهله الاجرد الدبر الذى كاد يصبح بورا • فظهرا اليه من بعدهما ظلمتين سوداويين فى ضياء النهار الباهر • فكانتا تتمططان وتصعدان وتهرولان كأنهما تريدان ان تفرا من الكون ومن الزمن ففزع وكاد يعود ليجلو حقيقتهما لكنه تراجع خائفا مما وراءهما لا سيما وان الحمار قد مات منذ اسبوعين فالتحق بزوجته خديجة التى توفيت منذ شهرين بعد ان عانى فى علاجها اكثر مما عانت فى مرضها • فتركت له خمسة ابناء أصمتهم الجوع ولوعهم الهزل اذ تحالف الجفاف والجراد على المنطقة فأتيا على كل ما فيها من ماء وعشب وقلت الجرذان والضفادع والأفاعى التى كانوا يطبخونها فيأكلونها ويستطيبونها كما يستطاب لحم خروف الربيع •

فوسوس اليه وسواس واستولت عليه هواجس وبادرته افكار كثيرة اوعز اليه بعضها ببيع قطعة أرضه الى الفلاح الكبير المجاور له الذى كان يستحثه على التفريط له فيها • لكنه اعرض عن ذلك تعنتا لكرامته ونقمة على منزلته فاستعان بابنيه الكبيرين وربطهما الى محراثه الذى ظل ملقى بعد موت دابته • فحثهما على جره كى يفوزوا ، رغم الدمار والعناء ، بثمرة كدهم • فأجهدهما فى العمل وضربهما ضرب السوائم حتى خجل من فعلته • فتركهما وعول على نفسه وهوى على الارض بمسحاته يستنجدها ويستجديها ويضربها وينتقم منها ومن الدنيا ومن نفسه ووجوده حتى انهكت قواه • تعجب من ذلك دون ان يقنط لانه لم يؤمن ان قواه قد فرطت منه بعد ما كان فى سنوات البركة يتجاسر على حماره فيحمله على ذراعيه وعلى شجرة البرقوق فيزلزلها زلزالا وعلى الحرشف فيدفعه بظفره فينقلع ويسمع له طلقة داوية كان يستحلاها بقدر ما كانت تعبر عن القوة الدافعة الكامنة فى عضلاته •

لكن هذه الارض قد عادته وهذه السماء قد سخطت عليه وهؤلاء البشر من بنى جلدته قد تألبوا عليه • فنافسه الفقراء بفقرهم حتى يئس من تضامنهم

وتجاهله موسروهم وضايقوه حتى شك فى انتمائـه الى جنسهم • منع ابناءه من السؤال مرات عديدة ثم تركهم يفعلون عندما تيقن انهم كانوا يتعـاطون ذلك خفية • وشاركهم احيانا فيما كانوا ينعمون رغم اقباله على صيام اراد ان تبلغ به نفسه منتهاها فتدرك كنهها ومنزلتها فى هذا الوجود• لكنه لم يفلح فى تعصبه لنفسه حتى اضطربت السبل امامه وكاد يصيبه جن عنـدما سجـن ابنه الاكبر اثـر القبض عليه ليلا فى بستان جاره الثـرى الذى أبى ان يشفع فيه الا بتنازل عبد القادر له عن قطعة ارضه • فزمجر غيضا واشتد هوسه ولم يفز بما يرضى كرامته ويطلق سراح ابنه • فقضى اياما عسيرة تصارع فيها غروره وعطفه الابوى • لكنه وفق بعد عناء الى حل كان يبدو له معقولا • فلو ذهب الى القرية واستقرض مالا من الدولة يمكنه من الخروج من قبوعه وييسر عليه اطلاق سراح ابنه •• !

كان فى ذلك الصباح يقصد القلعة الجرداء لرابع مرة متمنيا الحصول على قرضه ، عازما على الرجوع هذه المرة بنصيب يعيد اليه ابنه ويسد رمق ابنائه الاخرين فيخرجون من أزمتهم التى أرادها طارئـة • نظـر ثانيـة الى كوخـه وسهله فلاحظ ان الظلام لا يزال مخيما عليهما • فهرع منهما هـرع الخـائف فى مقبرة واتجه صوب القرية يجر نفسه جرا • فأحس بعد مدة بثقل يعرقل عضلاته ويصعد الى رأسه • فشعر به يتكور ويستطيل ثم يصغر فيصبح حبة تافهة • سقط على الارض دون ان يشعر ونادى بكل قواه • فلم يسمع لنفسه صوتا ولا نفسا • نظر الى رجليه فلم يجدهما ومد يديـه فلـم يبصرهمـا • غمرته حمى باطنية وسال منه عرق زاد على فشله • فأعاد النظر الى اعضائه فرأى عينى زوجته فى فخذيه وحافرى حماره مكان رجليه • أما ابنه المسجون فلقد أمتد على ذراعه الايمن وشرع يصرخ ويعوى عواء الذئب المجروح بينما كان الجراد والجرذان والضفادع والافاعى تنخر ذراعه الاخر • استلقى على الارض واخذ يصرخ لكنه لم يسمع لنفسه صوتا ولا نفسا • فأغمض عينيه وأجهش بالبكاء فاستولى عليه اغماء لم يستيقظ منه الا بعد مدة • فمس اعضاءه فوجدها ثابتة سالمة قد اصابتها نحافة لم يدركها من قبل لانه كان يـؤمن دون مبـرر معين ان جسمه قد خلق ليظل قويا صلبا فيزلزل الارض وأهلها ويدوم شابـا لا يدركه الفنـاء •

ولقد ازداد شعوره بالوهن بقدر ما كانت الاوجاع تسيطر على قفاه وتقيـم غشاء امام عينيه • فكان يظن ان الشمس قد نزلت من الفضاء لتنخر دماغـه وان السهول والهضاب الجرداء المحيطة به قد اصبحت سرابا ممدودا يقبـل عليه تارة يكاد يمحوه محوا ويغيب عنه طورا تاركا اياه فى صحراء مقفرة كان ساكنها الوحيد • فيسمع صراخا وعواء ويرى أنوارا ولهبا تفزع منها نفسه فيضع يديه امام عينيه ثم يقفز ليفر • ولكن أين المفـر ؟ •• ها هو حمـاره يسير امامه وعليه برذعة فخمة وفى فمه لجـام جديد وقد امتطته زوجته وفى

يديها سبعة أرغفة على عدد افراد اسرتهما أسرع ليتناول رغيفه فرأى أبناءه يجدون مثله ـ فما كادوا يقتربون من الام حتى أقبل عليها سبعة غربان ـ فانتشلوا الارغفة والام والحمار والاطفال وظلت امامه حفرة مستنقعة فيها حيوان مريع المنظر نتن الرائحة • أجهد نفسه ليبتعد عنهما لكنهما سدا فى وجهه كل طريق • فهرول يمنة ويسرة ثم نحا الى الامام وعاد على اثره • لكن دون جدوى • فقبع امام الحفرة وحيوانها وصرخ باكيا •

ـ اتركنى أمر ! أنا ماشى أطلب قرضى من الدولة • ابنى مسجون ! زوجتى ماتت ! حماري مات !

فرأى الحفرة تتسع والحيوان ينتشر فيها وخرج منه رأس فخاطبه آمرا •
ـ عندك « بوطيقة » « بطيقة » ؟
ـ « بوطيقة » ؟ « بتوقة » ؟ « عتوقة » ؟
ـ قلت لك « البوطيقة » العتوقة معروفة !
واختفى الرأس وحل محله رأس اخر فناداه •

ـ اسمك وعمرك وجنسيتك وقوتك ، وحمارك وأرضك وزواجك وأختك وأمك ودماغك وبطنك وموتك وحريتك وسجنك ولوعتك •• و « البورطيقة »•

فما يكاد يفتح فاه ليجيبه حتى اختفى الرأس وظهر ثالث قد حلت يداه محل أذنيه • فكان يدفعه بيده اليمنى ويلوح بيده اليسرى لافراد آخرين ظهروا فجأة بجنبه • فسمعه يردد دون انقطاع •

ـ تأخر يا عبد القادر ! .. تفضل سيدى .. تأخر يا عبد القادر •• اهلا وسهلا سيدى•• تأخر يا عبد القادر•• حاجتك مقضية سيدى • يا عبد القادر الورقة ! الورقة !

فزمجر عبد القادر بكل ما أوتى من قوة وارتمى على الحفرة وحيوانها ورؤوسها ليأكلها باسنانه ويمزقها باظفاره • فلم يجد لها أثرا • سمع دويا فنظر نحوه فرأى أمامه آفة سوداء هائلة تقبل عليه كالكارثة فتصدم رجله وتدميها ثم تقف ويقترب منه شخص •

ـ لولا لطف الله والا قتلك يا راجل ! كأنك ما تسمع بوق السيارة ! مالك ترمى فى نفسك على الطريق كالمجنون ؟ جرحك صغير • هيا معاى للطبيب •

ثم انحنى عليه الغريب واخذ بذراعه ثم دفعه حتى جلس قربه بمقدمة السيارة التى تحركت نحو القلعة الجرداء •

ـ هاك شوية خبز • زيد أشرب شوية لبن • يظهر كأن الدنيا غضبانة عليك • كلنا فى الهوى سواء والحمد لله •

فتناولهما عبد القادر آليا والتهمهما بسرعة حتى اذى معدتـه لكنه سرعان ما أحس بانتعاشة تتسرب الى جسمه وولتها نعسة خفيفة لذيذة لم تـدم الا قليلا اذ سمع صوتا يفصح :

ـ سيداتي سادتي تستمعون الآن الى تقاسيم على العود من عـزف الفنـان البربوشي ، تليها نشرة اخبـار موجـزة ٠٠ دن دن رن دن رن دددن ررن دن دن دددددن ٠٠ وتوالت النغمات لطيفة عذبة كأنها السحر وكاد عبد القـادر ان ينسى جرحه وهونه لو لم يبدل السائـق الموجة فسمع ٠

ـ يـا عـرب ! يـا عـرب ! يـا عـرب ! نحن عـرب ! نحن عـرب ! نحن عرب ! نحن اجمل الخلق واحسن البشر واشجعهم واكثرهم تقدما ٠ الحرية كامنة فينا والبطولة سجيتنا ! والاشتراكية خلقت فينا ! الكفاح ! الكفـاح ! الكفاح ! يا عرب ! يا عرب ! يا عرب ! يا أجمل الخلـق واحسن البشـر ٠٠ سنبلغ المجد وسنصعد الجبال ! لكن الهزيمة .. الهزيمة ..

وبدل السائق الموجة مرة اخرى فأتى صوت جديد ٠

ـ فرحة الحياة مضمونة لكل مواطن ومواطنة من ابناء هذا الشعب ٠ يجب علينا ان نتحد ونعمل كالرجل الواحد ٠ فسنوفر الخيـر للجميـع وسنبنى المدارس وسنشق الطرقات وسنساعد العجز والفقراء والمـرضى وستصبـح الارض لخادميها وستخلق الانسان الجديد .. وسـ .. وسـ ٠٠ وسـ ٠

فقال عبد القادر في نفسه : وسأفوز بقرضي وسيعود حمـارى وستحيـا زوجتي وسينزل المطر وسيطلق سـراح ابنى وسـ ٠٠ وسـ ٠٠ لكـن صوتـا جديدا قاطعـه ٠

ـ اليكم سيداتي سادتي فصلا من الغناء الصالحي ستترنم به فتحانة بنت الجمجوع ٠٠ آ آ آ آه هه هه هه يـا سيـدى يـا يـا سيـدى باين امه آه آه آه آوه آوه ٠٠ فتحمس عبد القادر ونسى محنته فأيد السائـق وتأوها مع المغنية ثم صفقا ورددا معها ٠

ـ البل قالت : الاعداء ساقونى من واسع الاركان ومن العرش الغالى لحقونى الا سبعة فرسان آ آ آ آه آه ٠

وود عبد القادر لو دامت نشوته تلك الى اخر العمر لكن مداخن منجم القلعة الجرداء بدت اليه من بعيد آذنة بالفراق وبميعاد جديد ٠ فأحس بيد السائق تطلق كفه لتضع فيه مائتى مليم ٠

ـ خذها اشرى بها حاجة بعد خروجك من عند الطبيب ٠

شعر عبد القادر بفرحة الحياة تعود اليه وببوادرها تتوافر لديه • فلقد تجسمت فى رحمة ذلك السائق المجهول وفى عطف الممرض الذى مسح على جرحه مسحة الرسول .. ولعلها ستكون على يدى أخ غريب سيمكنه من قرضه .. الله كريم ! والناس بشر ! فتوجه توا الى سوق القرية حيث توجد ادارة القروض دون ان يفكر فى سواها لا سيما وانه يئس من امكانية الاشتغال بمنجم فسفاط القرية • فوجد السوق خالية فازداد اطمئنانه ، ظانا انه سبق غيره من المقترضين • فحث السير وحققت منية قلبه حتى أدرك مكتب الاستقراض فوقف امامه وانتظر حتى ضجر • فطرق الباب متأدبا • فلا مجيب • أعاد الطرق ثانية وثالثة ورابعة وانتظر • لكن صبره نفد فانهال على الباب يدكه •

ــ أنا الاول ! أنا الاول ! افتحوا الباب • لا بد من قرضى اليوم •
فطلع عليه فجأة حاجب عبوس •

ــ مالك •
ــ قلت لك لابد من قرضى •
ــ القروض انتهت منذ أسبوع •
ــ أنا قرضى مضمون • أنا فرحتى فى الحياة مضمونة • الراديو قالها • سمعتها بأذنى وسمعها معى سائق السيارة •
ــ امشى يا راجل القروض وزعت وانتهت •

وغلق الباب فى وجهه • فارتمى عليه عبد القادر يزلزله • فخرج عليه الحاجب وناوله ضربتين على رأسه فسقط مغشيا عليه • استيقظ من غفوته فرأى ألوفا مؤلفة من الناس محيطين به محدقين فيه • كانوا صورة طبق الاصل منه • يا للعجب ! ما هذه الرؤيا ؟ بل هى واقع • فهم صورة منه وهو لا يتميز عنهم ولو بجرح رجله • ما أكثر الفقراء فى هذه الارض !

فصاح فيهم •
ــ من أنتم ؟
ــ نحن عبد القادر ماتت زوجته وحماره وفرط منه قرضه !
ــ اتركونى ! اتركونى ! يا فقراء ! يا تعساء !
ــ أنت الفقير ! أنت التعيس ! اتركنا ! اذهب من هنا ! ارجع من حيث اتيت • ارجع الى ظلامك !

ثم تناولوا حجارة ورموه بها • فانهالت عليه من كل صوب فدمرته وكادت تقضى عليه لولا حائط احتمى به • فارتمى على الارض لاهثا مهشما • استراح قليلا ثم استقام وقصد معطوبا الحى الايطالى فى القرية ليشترى بمليماته ما يمكن ان يرضى به ابناءه • لن يعود اليهم فارغ اليدين • ذلك ما وعد به نفسه • رحم الله ذلك السائق ! أدمج يده فى جيبه ليتفقد ماله فلم يجده •

فتش جيبه الثاني ثم الاول مرارا عـديدة دون ان يعثـر على شيء • تحسس ثيابه وجسمه وشعره وانفه وأذنيه باحثـا عن مـاله •• لقد فرط منه مثل قرضه • لقد مات كما ماتت زوجته وحماره • فتوقف واخـذ يبصـق يمنـة ويسرة ، على الارض وعلى السماء وعلى الحجر والاشجـار ثم هـم يمشى وهو يبصق حتى شعر برذاذ ينزل على جسمه • فابتسم ساخرا من نفسه لايقانـه ان كل بصاق عـائد على صـاحبه • ولكن سرعـان ما أدرك انه المطـر ، انه الغيث النافع ينزل من السماء فكانت قوته تزداد بقدر مـا كان يقترب مـن الطريق الرئيسية المؤدية الى كوخه • فهزته الفرحة وشعر بنفسه تطير كلما اشتد المطر الذى غسله غسلا • فعدا وقفز مناديا •

ـ يا سليمان يا بنى ! لابد تخرج من الحبس بعد الصابة ! حمارى سيعود ! زوجتى ستحيا ! ارضى ستخضر ! قوتى ستـرجع ! ولا حـاجة لزكـاة ولا « لبورطيقة » ولا لورقة •

وتعلق بنشوته حتى اقترب من نهر وادى حيدرة فرأى السيارات راسية على ضفتيه قد حجر عليها اجتيازه • فسمع فى سعيه نحوها دويا كالزلزال البعيد الذى كان يزداد قوة وشدة بقدر ما كان يقترب من ضفة النهر • فخيل اليه وهو يصغى الى الصدى ان دوى الرعد وانفجار القنابل وصعق الصواعق قد تحالفوا وامتزجوا فاستولوا على الكون وطوحوا به وأصموا الاذان • وبغتة ساد سكون رهيب فخافت الدنيا واختفت • فانتشت لذلك روح عبد القادر الذى سمـع وهو يتجاوز الضفـة •

ـ الى أين رائح ؟ قف يا راجل ! هذا ياجوج وماجوج واصل •
بلغ سمعه صوت آخر •

ـ إياك من النهر خاصة اليوم ! واد هرهار خير من واد ساكت • فأدرك عبد القادر انهما صوتا السائق الذى جرحه والممرض الذى عالجه • فاجابهما والبشرى تطلق لسانـه •

ـ سأشرب النهر ! سأعود به لاولادى • سأشـرب النهـر لتخضـر أرضى ويحيا اولادى !

ـ ارجـع ! ارجـع !

واقتفيا اثره كى لا يدرك النهر • لكنهما عادا هرعين لما لمحـا النهر يقبل ساكنا متلاطما كالجبل المتحرك على عبد القادر الذى وقف وسط مجراه ففتح فمه الذى أصبح هوة لا يدرك عمقها ومد ذراعيه اللذين بلغـا الضفتين فقامـا سدين شامخين وركز ساقيه اللتين صارتا عمادين تشدهما الارض والسماء • فبدا للسائق وللممرض ان عملاق السموات والارض قد حل بنهر وادى حيدرة وشهدا المياه تغور فى فمه وهى تغنى •

....

لكن من يستطيع ان يراه ؟ لعلهم ابناؤه الذين اخضرت أرضهم بعده ٠ ولعله ٠٠ ولعله ٠ وفى الحقيقة لا يعلم ذلك أحد لان الممرض والسائق اللذين سمعا أغنية المياه قد توفيا فانقطعت معهما الرواية ٠٠ على ان أهل المنطقة يرون انه كلما حمل النهر ولم يبلغ بحيرة أبى الاحناش ، أدركوا ان عبد القادر قد شرب ماءه ليسقى أرض أحفاده ومن ماثلهم من مساكين الارض ٠

م٠ د٠ ح٠

خل التأوه والتضرع والبكا
ان المحقر والجبان من اشتكى

قم فى الحياة بدورك المضنى الثقيل المتعب
ببسالة الشهم الجليد الحازم الحر الأبى
واسلك سبيلا شاءه حكم القضا المتغلب
فاذا فعلت بلغت فى العلياء أشرف منصب

والق المنايا والتألم والعنا
فى صمت ممتثل لها مثل أنا

ـ مصرع الذئب ـ

الفريد دى فينيى

تعريب : الهادى العبيدى

ـ 2 ـ

قطار الليل

شعر : عبد العزيز قاسم

صدى اغنية قديمة ، تمتد جذورها الى اعمق اعماق ماساة الانسان ·

– الصدى عبير الصوت ، وجوهر الشعر اشذاء والوان ·

– نريدها اغنية لان الموسيقى اخر معقل من معاقل الشعر ·

– وفى عالم انطمست معالمه وسماته يجنح فيه الرسم الى التجريد المطلق يقوم الشعر بتشكيل الرؤى التجريدية ·

– كتبت هذا القصيد فى عيد ميلادى وكان بالامكان ان اروى الاحداث والخواطر عارية مفصلة ، ولكن الشعر ليس فى تسمية الاشياء بل فى المسافة الرابطة بين الدال والمدلول وفيما يتفرع عن المدلول من علاقات قريبة او بعيدة ·

ليالٍ طِوالْ تجرُّ ليالْ بدرْبِ الْمُحالْ
كذَلِك يمْضِي قِطارُ الزَّمانْ
يُقِلُّ بضاعةَ كانَ وَكانْ
يُطوِّفُ بالشَّمْسِ ليْلَ نَهارْ
فبِي مِنْ رُكوبِ الزَّمانِ دُوارْ
أمامِنْ مَكانْ بِظلِّ الأمانْ لِحطِّ الرِّحالْ
لَقدْ ضَاقَ صَدْرِي بِألْفِ قصِيدْ
وَأبْلَى الْقديمَ انْتِظارُ الْجدِيدْ
وبِي صَرْخةٌ تَبْتغِي أنْ تَصِيحْ
بِماذَا أُضمِّدُ صَوْتِي الْجرِيحْ

نَصبْتُ كَمِينْ بِقفْرِ السِّنِينْ ورَاء الظِّلال

وَفَاجَأْتُ قَافِلَةَ الذِّكْرَيَاتْ
تَشُقُّ بِعُمْرِيَ أَرْضاً مَوَاتْ
صَرَخْتُ كَفَى ! حانَ يوْمُ الْحِساب
صَحوْتُ فَكُلُّ شَرَابٍ سَرَابْ

وَمَا مِنْ نِهَايَه لِكُلِّ حِكَايَه سِوَى ذَا الْمَلال

تَنَكَّر فِكْرِي لِمَاضٍ وَآتْ
سوَى طَيْفِ طِفْلٍ غَرِيبِ السِّمَاتْ
تَذَكَّرْت أَنِّي قَطعْت سَبِيله
وَمِنْ رَاحتيْه انْتَزَعْتُ الطُّفُوله

وَفِي شَفتيْه وَفِي مُقْلتيْه طَبعْتُ سُؤَال

تُرَى لوْ طَرَحْتُ الْهوَى وَالْجُنُونْ
وَأَحْصَيْتُ مَا أَوْرَثَتْنِي الْقُرُونْ
تُرَانِيَ أَكْسِبُ غَيْرَ النَّدَمْ
وَأَحْسنُ مَا قَدْ غَنِمْتُ الأَلَمْ

وَتَمْضِي الْفُصُولْ تَرُومُ الْوُصُولْ سُدًى وَضَلال

2 أفريـل 1968 ع. ق.

التحاضن الفكري ضرورة ..!

بقلم : محمد مصمولى

بجانب « **اللا** » و « **النعم** » وما تقتضيه ثورة الفكر من مجابهة حرة واعية لعوائق الانهزامية ، والفرار والكذب الجماعي ، وعدم الانتماء ، بجانب « **لحظة النقد** » هذه ، يبرز المفهوم الجديد المعاصر « للثقافة » ويزداد ارتباطا بالحياة وبالانسان وبالارض وبالواقع ٠٠ وهذا المفهوم بعد ان كان رهين « الثقل المادى » لتراكمات الفضول الثقافى ، والمتمثل فى الاخذ من كل شيء بطرف ، والاستحالة بكل ذلك الى رأس يمثل جملة رؤوس ، ويحتوى على صور شمسية للتراث ومتاحف الفكر القديم ، بعد هذا ، اصبحت الان للثقافة مهمة اخرى ترتكز على قضية قيم ، وعلى قضية مواقف تحتمها يقظة الفكر الحر المتفاعل بشجاعة مع الاجواء التحريمية والاعتقادية ، والطامح بشهامة دامية الى تغيير خارطة هذا العالم الذى يسحقنا واخضاعه لصالح الانسان ولصالح الحرية ٠٠

فليس بخاف اذن ، ان الفكر فى اشرف معانيه ضمن الاطار المحسوس الذى يغلفه دون ان يخفيه ، ويحيط به دون ان يحده ، قد اصبح – اى الفكر – اشمل من ان تمثله النظرة السكونية ، او الايديولجيات المحدودة ، او الثورات اللفظية الخاوية ، او بلاغة الفن الزخرفى الموميائى او فن بمعزل عن بقية الفنون ٠٠ فالفكر ، بجانب « اللا » و « النعم » اللذين ينتجهما بلا انتهاء هو انجاز فعلى وخلق دائم يستلزم تحاضنا حضاريا بين كافة وسائل التعبير من ادب ورسم ونحت وموسيقى ومسرح وغيرها من عوامل توجه ذاتية الحضارة وتنبثق من هضمنا الكامل لمعنى الحرية ومن انفتاح حسنا لعلاقة حاضرنا وحاضر الاخرين بالامس الذى كان والغد الذى ينبغى ان يكون ٠ لهذا ، فالحاجة ماسة للحوار الثقافى الصافى والتقارب الحضارى المنشود بين الشعراء والرسامين ، وبين هؤلاء وبين النقاد للادب والنقاد للفن ، ثم بين الجميع وبين هواة السينما والاخراج المسرحى والتلفزى والاذاعى ٠٠ ومعلوم ، ان الفصل او عزلة بعض هؤلاء عن الاخرين ، هو مظهر من مظاهر التخلف الفكرى ، واللامعاصرة والمؤسف ان شيئا من هذه « **الغربة** » لا يزال قائم الذات فى تونس وفى العالم العربى والافريقى بوجه عام مع اختلاف نسبى طفيف بين فظاعته فى مكان دون اخر ٠٠ ولعل هذه الظاهرة ، ظاهرة عدم الاستجابة بين شاعر يهيم فى اودية ، ورسام او موسيقى او ناقد يهيم فى اودية اخرى ، هى بعض ما يفسر الرؤيا

« المتوسطية » للفن ، والمواقف التأخرية التى جعلت المبادرات القليلة الثائرة غريبة عن رسالة الثقافة ، التى هى نضال فكرى شمولى من اجل اخضاع الكون للحرية والحق والجمال ومن اجل تفجير ابعاد الايديولوجيات الاقليمية باختلاف انواع ضغطها وجعلها خاضعة لسياسة انسانية عامة موضوعها الاول والاخير : تحقيق انسانية الانسان والعداوة لكل ما يمنع نمو وتجسيم هذه « الانسانية » ٠٠ ومن هذه الموانع على سبيل المثال لا على سبيل الاحصاء ، انقسام الادباء المتمذهبين الى تقدميين وغير تقدميين ، ويساريين ويمنيين ، والى منتمين الى كتلة سياسية ضد بقية كتل اخرى والى متحزبين فى صف المعسكر الغربى ، واخرين فى صف المعسكر الشرقى ، والى واقفين او قابعين فى قلعة يمين معتدل او يمين متطرف الى اخر هذه التجمعات التى تجعل كلمة الثقافة بوقا محدودا لتجزئة انسانية الانسان او جدارا حجريا بين الانسان وأخيه الانسان ، او تصاما ونكرانا لما يقتضيه « **التعاصر** » العميق الشامل بين الفكر والعالم ٠٠

من هنا ، وبواسطة هذا الحوار الذى تحاول الاديولوجيات كبته وتضييق الخناق عليه بوسيلة او باخرى ، يبرز مفهوم (الثقافة) فى اشرف معانيه ، ومنتهى اشعاعه ، ولئن قال احدهم ان السياسة هى « يأس الفكر » فان الاقرب الى الصحة ، هو ان السياسة وليدة الفكر واحد مناهجه الواقعية — كما هو الشأن لبعض السياسات المتفتحة وما اقلها فى العالم ، وهل ادل على تفتحها عندنا هنا ، من تغذيتها للادب والفن ومن تفجيرها للحس القومى وحثها له على الاستلهام من قضايانا الانسانية ، ومن انغمار شعبنا فى معركة الكيان بعد معركة التحرر — الا ان السياسة الناضجة كالتى ارتقت بالجمهور التونسى واتاحت له فرصة الوعى الجماعى بالذات ، والممارسة الوجودية العميقة لتجربة الحرية ، هى من الفكر بمثابة الفرع من الاصل ، وعلاقة الفكر بها هى كالعلاقة القائمة بين النتيجة واحدى وسائلها ٠٠ وعلى كل فليس الغرض هنا ان نقيم موازنة بين السياسة والفكر ، بل لا بأس من الاشارة الى العلاقة الجدلية ، علاقة الحوار والتحاضن الفكرى بينهما ٠ فكلاهما يتكامل ويقوى بالاخر ، دون ان يستطيع احدهما ان يحيا بمعزل عن الاخر : السياسة تخطيط ونظام وتصميم ، وهى واقع انسانى يجسمه شعب ما ، فى مكان ما من العالم ، اما الفكر فهو ثورة دائمة من اجل شحذ قيم جاهزة او قيم جديدة بوحى من نفس الواقع الذى تشاركه فيه تلك السياسة ثم بوحى من طبيعة الفكر التى هى ثورة ضد التجمد النهائى وضد الاستحالة الى تمذهب او تحزب ٠٠ ومعلوم ، ان التحاضن بينهما يعنى التوفيق بين وظيفتين رئيسيتين للفكر ، على المستويين القومى والانسانى ، اما انسحاب الفكر من السياسة ، او الخلط بينهما فمعناه يأس الفكر وافلاس السياسة او تصلبها ، ثم يعنى ضمن ما يعنيه عدم نضج اللحظة الحضارية للامة التى لا تفرق بين استقلالها السياسى المجسم فى التحرر من الاجنبى وفى مناعة نظامها وبين استقلالها

الثقافى المجسم فى حرية وجدانها وفكرها وعلاقتهما بالكون ، وفى وشائج القربى الانسانية مع « الاخرين » فى كل مكان غير الذى نحن فيه ، وفى اشعاع شخصية الامة الثقافية ، ومجدها الفنى وخلودها الفكرى ٠٠

فلا بد اذن ، من التحاضن الفكرى بين الثقافة وبين السياسة حتى لا يعيش الفكر بينهما فى غياب موحش فاجع او فى قبول غير نقدى بشكل موميائى او متملق فى حين ان الفكر ملتزم بمقتضى هوس التغيير الدائم للعالم كما تقدم التلميح الى ذلك فى بداية هذه العجالة ٠

الا انه لابد من القول ، ان التحاضن الفكرى المقصود فى الثقافة بين المنتج والمستهلك للانتاج والناقد ، ليس يعنى شيئا اخر غير الاستجابة النقدية البعيدة عن المجاملة ٠٠ او التحيز ٠٠ كما ان التحاضن الفكرى ، لا يعنى التكتل او المدرسة بل هو اوسع منهما ، لانه برفضه لنموذج « المنتمى المتعصب » لا يقصد الا اقامة الحوار البناء بين هذا النموذج وبين نموذج « الشاهد » ونموذج « الفوضوى » فضرورة « المعاصرة » تفرض على كل مثقف مهما كان نوعه ان يخرج من قوقعته الخاصة او من شعارات قطيعة ليتجاوب بشجاعة واخلاص مع مقتضيات واقعه القومى الذى يمثل الدرجة الابتدائية للتحاضن الفكرى ثم مع الواقع الانسانى الذى تقع على الجميع مسؤوليته التاريخية ٠

م٠ م٠

؟

نحن هنا يا أمى

قصة بقلم : سمير العيادى

حرم على ان ارفع رأسى الى شباك احمر فى اخر الزقاق • حرم على ان ادخل الزقاق • حرم على ان العب مع الاطفال فى ضيق الزقاق • حرم على التنفس فى ظلال الجدران المتهدمة على شفتى الزقاق • أحب هواء الزقاق • لكن كمامة وضعوها على فمى قالت لى : لا تصرخ •

كان ذاك يد أبى وصوته • كان ذاك امره : لا تصرخ •

يده فى يدى • كان يقودنى بين الكوم المتناثرة فى انهج حارتنا الضيقة المتسخة السوداء • قال لى : لا تقل شيئا يا بنى • اضطربت فارتعدت احشائى واختلط دمى بغبار الجزع المر • سكت ولم اقل شيئا • كان يقودنى بين الكوم المتناثرة فى انهج حارتنا الضيقة المتسخة السوداء سرت ارتعاشات كهربائية بين رموشى • لم اتبين شيئا • كنا نمر وكتفاى مثقلتان • عبء ثقيل رمته على قشاشيب جاثية تحت كوم الجدران • دخان خانق كسول شتمتنى به قشاشيب جاثية تود ان تتحرك فلا تتحرك • صراخ أبكم فى أعين ذابلة يشع فى قشاشيب تنظر الى قبعة سوداء تتمشى تتباهى تهز عصا بيضاء تكشر تقهقه تصرخ : الصمت يا كلاب •

الصمت يحرق ويجرح • لكن كمامة وضعوها على فمى قالت لى : لا تصرخ •
كان ذاك يد أبى وصوته • كان ذاك أمره : لا تصرخ •

اشرقت الشمس من وراء السحب لحظة قصيرة فصاح الديك كو كو كو كو احد عشر مرة • ودوى جرس الساعة فى كل زوايا البيت الذى لم يفسح مجالا للنور حتى يسعده • استيقظت من نومى قبل ان تستيقظ جدتى الكسولة • لن انال لذلك قطعة شوكولاطة كابناء الجيران • فتحت محفظتى بحذر واخرجت منها مسطرتى لاهمز بها الثديين العابسين اللذين طالما اضحكانى ويضحكاننى وسيضحكاننى والذين طالما يبكياننى لانهما سيهلكان • فلاهمزنهما ولاهمزنهما ولاصيح ولاغن كما علمنى المعلم :

يــا جـدتـى يــا جـدتـى	هيـا انهضـى يــا جـدتـى
هــذا الصبــاح قـد أتــى	قـومـى اطبخـى لى قهـوتـى

لكن جدتى لا تفهم براءتى • وحق النبى أنا برىء • لكن جدتى بسملت وحوقلت • ورفعت رأسها ونظرت ، ووجدتنى امامها ضاحكا فلعنت ، وتحاملت على شلوها الايمن وصفعت •

والله انا برىء يا جدتى • وضعت يدى ومسطرتى على خدى الايسر وصرخت سترين عند أمى يا شمطاء • فضحكت منى الجدة حتى سعلت • اه يا جدتى يا عجوز يا هالكة • لو مسكت عنقك بين اصابعى • والله والله لاضغطن ولاكبسن ولاحزقن حتى •• وعادت الجدة الى نومها •

حرم على ان اخنق جدتى فى البيت المتهدم • حرم على ان اهمزها لاوقظها فتتحرك داخل البيت المتهدم • حرم على ان ادعو النائمين الى ترك اركان البيت المتهدم • حرم على ان استدعى المتماوتين الى تذكر الحياة خارج البيت المتهدم • احب هواء الحياة • لكن كمامة وضعوها على فمى قالت لى : لا تصرخ •

كان ذاك يد أبى وصوته • كان ذاك أمره : لا تصرخ •

عينه فى عينى كان يحذرنى من مغبة الاعتداء على نوم جدتى • قال لى : لا تفعل شيئا يا صبى • رقص انفى مع شفتى وكدت اقدم على البكاء • سخرت منى قشاشيب جاثية فى صمت الممنوع • قالت لى أمى : يجب ان تبعث فى نفس جدتك حب الحركة والحياة حتى تنهض من ركنها وتقوم بشىء فى صالحها • جدتى لا تفهم ان واجبها يقضى عليها بالسعى لتنال طعامها • جدتى تعتقد ان أمى بخيلة شامتة تضن عليها بقطعة الشكولاطة • جدتى لا تفهم ان الله يكره العبد البطال • جدتى تعتقد ان السعى والعمل من واجب الصغار والشبان • جدتى لا تفهم ان السعى والعمل من الحياة • جدتى لا تدرك انه لكل ساع وعامل ان يحيا كما على كل حى ان يسعى ويعمل • عينه فى عينى كان يحذرنى من مغبة الاعتداء على نوم جدتى • كان يبعدنى عن القشاشيب الجاثية حتى لا اكلمها • حتى لا اغمزها • قال لى : لا تفعل شيئا يا صغير • رقص انفى مع شفتى ولم افعل شيئا • كان يهددنى بعصا بيضاء تتمشى تتباهى تشد قبعة سوداء تكشر تقهقه تصرخ : « دودمة جاكم » (*) •

انى لا اخشى دودمة • لكن كمامة وضعوها على فمى قالت لى : لا تصرخ •
كان ذاك كف أبى وحنجرته • كان ذاك نهيه : لا تصرخ •

آه يا جدتى يا عجوز يا هالكة ، لو مسكت عنقك ، لن احترم قول المعلم وبالوالدين احسانا • جدتى ليست والدتى انا احب أمى •

(*) دودمة كناية عن الغول (الفكر) •

وعادت الجدة الى نومها · قال لى : لا تفعل شيئا يا صغير ·

انا لست صغيرا · عمرى اربعة اعوام · ولدتنى أمى فى افق احمر غارق فى الشمس · الشمس يا أبى كوكب بعيد عن الارض والارض يا أبى تدور حول الشمس · لو لا الشمس يا أبى لما دارت الارض · لما كانت الأرض · الشمس يا أبى هى محور الارض · ولدتنى أمى فى افق احمر غارق فى الشمس · عمرى عام اول وهو معرفة كيانى وعام ثان وهو معرفة أمى وعام ثالث وهو حبها وعام رابع وهو العمل لاتصال ارضنا بها ·

أمى يا أبى من الشمس الناصعة · ولابد ان اجمع الاخشاب لابيعها واشترى بالمحصول ذلك الحصان الاخضر هل تعلم يا أبى انى سأركب ذلك الحصان لاغرق فى افاق أمى ؟

أحبك يا ابنة الشمس ·

حرم على ان اجمع الاخشاب لاشترى الحصان · حرم على الحصان · حرم على ان ابيع النار التى ستمكننى من الحصان · حرم على ان اظهر للقشاشيب كيف يركب الحصان · حرم على ان اقول لهم ان خلاصهم لا يكون الا بالحصان · احب الحصان · لكن كمامة وضعوها على فمى قالت لى : اسكت ·

كان ذاك أبى · لم يكن ذاك غير أبى ·

يده على عنقى · كان يدفعنى خارج الغابة الهزيلة · قال لى : لا تجمع شيئا يا ولد · وضعت بعض الاخشاب فى جيبى · فطن أبى لذلك فاخرجها والقى بها على الارض · قال لى صاحب اللعب : لابد من جمع الاخشاب وايقاد النار لتنال الحصان · لابد من ان ينهض القشاشيب ليدفعوا معك اركان الزقاق · لا بد من ان تكد لتغوص فى افاق الشمس · لا بد من عدم اليأس حتى تخترق شباك اخر الزقاق · يده على عنقى ، كان يدفعنى خارج الغابة الهزيلة · كان ينظر لكامل الحى بعين بيضاء وسوداء · كان يبعث الرعب فى احذية جميع الناس فتجمد فى مكانها · فكيف اجمع الخشب يا ربى كيف اوقد النار · كيف اركب الحصان لاقبل أمى · انى لا احب هذه الام المزيفة التى اخترعها لى أبى · انا لا افهم الطلاق · عمرى ثمانية اعوام · لا تقل لى انك طلقت أمى أنت لا تعرفها · لا تقل انها طويلة اللسان · فهناك شيء اطول · هذا الهيكل البشع الذى يتجول بعصا بيضاء وقبعة سوداء يتمشى يتباهى يكشر يقهقه يصيح : من يتحدانى ؟

انى اتحداك · لكن كمامة وضعوها على فمى قالت لى : أسكت ·

كان ذاك أبى · آه من أبى ونهيه : أسكت ·

أحبك يا ابنة الشمس ·

غسلت وجهي واكلت كسرة خبز ثم اخذت محفظتي وخرجت • مررت امام بيت المزيفة • يا سوداء العين لست أمي • يـا سـوداء العيـن أخـرجي من بيتنا • لا انا عابد ما عبدت ولا أنت عابدة ما اعبد • لك أمـك ولي أمـي • قذفتني المزيفة بالماء البارد • فضحكت منها وبصصت لها بفمي • قالت لي : سترى عند ما يأتي أبوك • قلت لها : خرفي هيه يا مباركة • اولا أنت لست مباركة • ثانيا قررت ان لا اعود اليوم الى هذا البيت • سألتحق بأمي • قالت الوقحة : أمك ماتت • قلت مغتاظا ان شاء الله أنت ، سترين ستقذفك أمي بنيرانها • قالت الغبية : لقد حكم العدل ان تبقى تحت رعاية أبيك فلن تذهب الى أمك • قلت ساخرا : انا العدل ، كذلك قالت لي الكائنات وحدثتني روحها المستترة • قالت : رح أعرض محفوظتك هذه على المعلم خير لك • قلت : وانت روحي زمري في الريح •

ان المزيفة لفي ضلال • ستلعب بها الرياح عند ما تقذفها أمي بنيرانها • انها لا تعرف أمي ولا تعرفني • يحق لها ان لا تعرفني • فانا بعيد عن أمي • لا أحد يعرفنـي •

قال لي المعلم : هل تستطيع ان تذكر لي اسمك ؟

قلت كلا يا سيدي لقد فارق أبي أمي ، وحبسها في آخر الزقاق •

قال لي المعلم : هل تستطيع ان تذكر لي العلاقة بين سؤالي وجوابك ؟

قلت نعم يا سيدي فانا ملك أمي فان لم أتصل بأمي فقدت كل كياني وكل معنـاي •

قال لي المعلم : هل تستطيع ان تذكر لي معناك ؟

قلت كلا يا سيدي فمعناي لدى أمي فان لم أتصل بأمي •••

قال لي المعلم : ومن هي أمك ؟ هل تستطيع ان تذكر لي أمك ؟

قلت نعم يا سيدي فان أمي هي التي حبست في تلك الشرفة الحمراء في اخر الـزقاق •

قال لي المعلم : هل تستطيع ان تذكر لي لماذا حبست في تلك الشرفـة الحمراء ؟ لابد انها نطقت الفاظا حارة في وجه أبيك •

قال التلاميذ : انها ليست شرفة ، انه شباك •

قلت كلا يا سيدي انها لم تنطق الفاظا حارة فحسب ، بل صرخت الفاظـا حرة • لقد حبسها أبي لانها لم تنطق الفاظـا حـارة فحسب ، بـل صرخت الفاظـا حـرة •

قال لى المعلم : هل تستطيع ان تلزم الصمت ؟

قلت ابدا يا سيدى · ماذا لو القت أمى بخنوقها الاسود واظهرت رشاقة قدها لاعين الشمس · ؟ اليست آبنة الشمس ؟ ماذا لو أرادت ان تعمل وتجمع الخشب للقشاشيب حتى يوقدوا النار · ماذا لو تحركت ؟ يقول أبى العادة تمنعها عن العمل وعن الظهور لاعين الشمس واضحة عارية · اليست حقا حرة ؟اليست هى الحقيقة الحرة ؟ اليست هى الحرية الحقيقية ؟ ماذا علمتنا يا سيدى ؟ ماذا لو قالت لى يجب ان تنظف بيتنا وحارتنا من الوسخ الاسود ؟ ماذا لو اردنا ان ندفن جدتى ؟ أليس الله يكره العبد البطال ؟ ومن قال ذلك ؟ أليس هو النبى ؟ فبالله ماذا لو اردنا ان ندفن جدتى التى كانت خانعة تحت ويلات الضغط « الابوى » ·

قال لى المعلم : هل تستطيع ان تصمت ؟ انك شاحب اللون ·

قلت حاشا ان اكون شاحب اللون فأنا ابن أمى ، لا تقل ذلك يا سيدى ·

قال لى المعلم : هل تستطيع ان تهدأ ؟ انك هزيل الجسم ·

قلت : أبدا ·

قال لى المعلم : هل تستطيع ان تسكن ؟ انك ضعيف ·

قلت : أبدا ·

قال التلاميذ : انها ليست شرفة ، انه شباك ·

وانطلقنا خارج المدرسة شعارنا الجنة تحت اقدام الشموس نردد تصريف فعل احب أمه فى المضارع المرفوع والامر حتى تجمع وراءنا الاف من « احب أمى » وملايين من « احب او احبب أمك » · ومن خلال نظرة أبى الحاقدة · أبى ذلك الشاخص بعيدا ، بعيدا ، من خلال نظرته المتذابلة اقتحمنا الزقاق فرحين مسرورين ، ومن خلال بسمة المعلم المتفاترة دفعنا شباك اخر الزقاق فانفلق الزقاق واصبح شارعا نيرا احمر كالشمس كأمى ، أمى انا اليك يا أمى · من خلال نظرة جدتى الهالكة انا اليك · من خلال نظرة المزيفة أنا اليك · من خلال ربتة صاحب اللعب انا اليك · انظرى لقد وهبنى الحصان لانى اقتحمت الزقاق · انظرى · لقد تجمعوا كلهم ليشهدوا صعودى اليك على متن حصانى الاخضر · انظرى · المعلم دمعت عيناه والتلاميذ اصطفوا حولى وأبى هناك بعيد ، بعيد ، لا يقترب منى · انظرى صاحب اللعب يمد اناملة ليغمض عينى · لا ، لا تغمضهما · سيدى ارجوك اعطنى عشرة على عشرة · لقد حفظت محفوظتى · ومن يتهيب صعود الجبال يعش ابد الدهر بين الحفر · لا · لاتعيدوها · دعونى اركب حصانى · حصانى الاخضر . لا تغمض عينى يا سيدى · ابتعدوا عن فراشى قليلا · دعونى ار أمى أر أمى · انكم تبتعدون شيئا فشيئا · حصانى يطير · حصانى يعلو ما اخف عضلاتى · ما ابهج الافق · ما أطيب النسيم · حصانى يعلو · دعونى أر أمى أر أمى أر أمى · أمى ·

س· ع·

المذهب الحيوي : برغسون *

بقلم : صالح بشير

كان للمذهب الآلى المادى الذى تولد عن الفلسفة الوضعية والذى ساد القرن التاسع عشر رد فعل شديد فى فرنسا بلغ نهايته عند **برغسون** الذى اخذ على نفسه ان يدافع على الجانب الروحى فى هذا العالم ـ لقد اصبحت مظاهر الوجود عند المذهب المادى تفسر تفسيرا آليا حتى ان قوانين المادة اصبحت قوانين الظواهر النفسية وقد هال هذا الاتجاه الكثير من المفكرين واصبحوا يبحثون عن حقيقة الوجود لا فى عالم المادة وانما فى عالم الحياة التى سرت بدورها الى المادة ذاتها والتى اصطبغت بها العلوم ، وكان من اشهر من قام بهذا العمل الفيلسوف الفرنسى **برغسون** (1859 ـ 1941) .

ولد **برغسون** فى باريس من ابوين يهوديين ، درس الرياضيات والطبيعة اولا وتتخصص فيهما ودرس الفلسفة بعد ذلك واعجب ايما اعجاب بفلسفة **سبنسر** لانه وجد فيه ما لم يجده فى غيره من الفلاسفة من الاهتمام بالوقائع والرجوع الى التجربة ، فقد كان غير **سبنسر** من الفلاسفة مولعين ببناء فلسفاتهم على تصورات مجردة كل التجريد وبالرغم من ان **برغسون** لم يستمر على مذهب **سبنسر** الا انه ظل وفيا للنزعة التجريبية متمسكا بالواقع وبالجزئى المتعين ـ وقد اشتغل **برغسون** بمجرد تخرجه بالتدريس اذ عين استاذا للفلسفة بعدة معاهد كما اشتغل ايضا بالسياسة ، وقد اخرج للناس عدة كتب رفعته الى عالم الشهرة وجعلته فى مصاف كبار الفلاسفة واهمها :

المعطيات المباشرة للشعور ـ المادة والذاكرة ـ التطور الخلاق ـ مصدرا الاخلاق والدين ـ .

نظرية الديمومة :

تعتبر فلسفة **برغسون** رد فعل ضد المذهب الآلى وهى فى الحقيقة لم تعارض المذهب المادى فقط بل تعارض المذهب العقلى الذى قدر ان العقل يستطيع ان يدرك الحياة وهى تعارض **الكانتية** التى وضعت الزمان والمكان على قدم المساواة مع المكان ـ لقد خلط الفلاسفة بين الزمان والمكان فبينما المكان يتكون من أجزاء متجانسة تمام التجانس وتمثل الاشياء فيه كثرة

(*) من كتاب يعده صاحب الموضوع فى تاريخ الفلسفة .

متمايزة تتجاور محددة وفق قوانين ضرورية صارمة فان الزمان عند **برغسون** ديمومة مستمرة قوامها اللاتجانس والتتابع الكيفي والتداخل والذى حمل الفلاسفة على اعتبار الزمان كالمكان الميل الى تعميم صفات المكان على كل كائن بينما اذا أولينا اهتمامنا الى الحياة النفسية فانا نقف على ديمومة مستمرة لا تعرف التجانس نستشعرها حينما نعطف على حياتنا الباطنية لنشاهد تعاقب احساسنا وذكرياتنا ولذاتنا وآلامنا فأنت قد تقضى ساعة فى اللهو والمرح فتبدو انها اقل من ساعة تقضيها وانت تتألم ، ان الديمومة هى الزمن الحقيقى الذى نشعر به اما زمن الساعات والايام فهو زمن آلى متجانس ما هو الا نتيجة ادخال فكرة المكان فى صميم فكرة الزمان وهو لذلك يخضع للقياس خضوع المكان له اما الزمن الحقيقى او الديمومة اى الزمن الذى اشعر به فهو ليس واحدا وان قوامه التغير وهو لهذا لا يقبل القياس لانه لا يمكن ان تكون وحدة قياسية بما جوهره التغير والسيلان ٠

اننا بازاء المكان والزمان امام حقيقتين **المكان** باعتباره امتدادا متجانسا يخضع للكثرة ــ العددية قابل للانقسام والقياس **والزمان الحقيقى** باعتباره ديمومة وكيفا محضا لا تجانس فيه يدرك بواسطة **التجربة الباطنية** ، وامام هذين الحقيقتين يجب ان نسلم بجانب التسليم بالمادة التى **جوهرها الامتداد** بحقيقة اخرى جوهرها ديمومة محضة هى الشعور او النفس ٠

الجسم والنفس :

واذا كان الزمان هو الديمومة تتداخل فيها الصور وتنمو وتطرد نموا فانه يتبع هذا ان الماضى لم يقف منذ البدء وان احداثه تتزايد الى ان تصل الى الحاضر وان الذاكرة هى الوعاء الذى تختزن فيه الاحداث الماضية لكى تقوم بوظيفتها فى مساعدة الانسان على توسيع دائرة عمله وتحقيق فعله على أحسن الوجوه وليس هذا كل عمل الذاكرة فلها بجانب ذلك عمل اخر قوامه استيعاب الماضى بأكمله فى اعتمادها على التصور المحض وهذا هو الذى جعل **برغسون** يميز بين **ذاكرة قوامها العادة** La mémoire habitude وهى الذاكرة التى تهدف الى الفعل وفيها تكون استعادة الماضى الى الذاكرة بطريقة آلية وان الغاية منها النفع **وذاكرة قوامها التصور المحض** La mémoire souvenir ليس فيها ترديدا للماضى وانما تتمثله وتعيشه ــ فانك مثلا تستطيع ان تستظهر قطعة حفظتها وفى هذه الحالة لا تعدو ان تكون مرددا لما حدث فى الماضى اما ان تستحضر الطريقة التى حفظت بها القطعة فانك تتمثل وتعيش حالة شعورية والفرق بين الحالتين ان الاول عملية نفعية أداتها الدماغ والثانية تمثل وحياة للماضى لانها تصور محض وهذا التصور وان كان مستقلا عن البدن فانه يتم عن طريقه ، ذلك ان العقل ليس وظيفة ا لدماغ بل الدماغ اداة يستخدمها العقل فهو بمثابة المجرى الذى يجرى فيه الماء فلا المجرى هو الماء ولا الماء هو المجرى فهما شيئان متمايزان كذلك

الدماغ لا يعدو ان يكون المجرى الذى تجرى فيه اعمال العقل ومهما كانت الصلة بينهما فهما متمايزان مختلفان وليس بوسع الدماغ ان يولد اى عملية عقلية ولا ان يفكر ، وان الجسم ليس الا مكانا لحفظ الذكريات تستخدمه النفس لتحقيق افعالها واذن فالجسم والنفس متمايزان مختلفان وان النفس تستطيع ان تستقل عن الجسم الا انها لا تستطيع ان تفعل شيئا بدونه ·

الحـدس :

واذا كان العقل اداة فعل لانه يميل الى استخدام الوجود لصالحه فليس هو وسيلة لادراك الحقيقة او لادراك الحياة لان العقل لا يدرك من العالم الخارجي الا صورا متقطعة يجيء بعضها متتابعا كما تجيء الصور فى الشريط السينمائى لقطات متلاصقة لا حياة فيها بينما جوهر الوجود حياة لا انقطاع فيها ولا تجزئة بين صورها ومن ثم لا يستطيع العقل ان ينفذ الى باطن الوجود اذ النفاذ اليه يكون بواسطة الحدس ذلك النوع من المشاركة العقلية التى تنقلنا الى باطن الشيء لكى نتطابق مع ما هو فريد والذى لا يمكن التعبير عنه ـ ولهذا تصبح الميتافيزيقا ممكنة عند **برغسون** لكنها ميتافيزيقا تجريبية غير عقلية لانا ندرك الوجود بواسطة التجربة المباشرة أعنى بواسطة الوجدان او ما يسمى الحـدس ·

نظريـة التطور الخلاق :

وما دامت الديمومة هى جوهر الوجود وقوامها التغير والتطور فان التطور عند **برغسون** ليس له مفهوم التطور عند **لامارك** و **داروين** و **سبنسر** ، فهو ليس تطورا آليا لان التطور الآلى ينكر الديمومة التى هى الجوهر الحقيقى لكل ما هو نفسى ولما هو شعور وهو أمر لا يقدر التطور الآلى ان يفسره وهو كذلك ليس تطورا غائيا لان الغايـة نفسهالا تفهم حقيقـة الديمومـة لانها تضيف الى الطبيعة مقاصد وتعتبر ان لكل الموجودات أغراضا مسبقة محددة منذ الأزل ـ ان القول بالغائية على هذه الصورة لا يختلف فى شيء عن الآلية لانها ليست الا آلية مقلوبة اذ الآلية دفع من الخلف والغائية جذب المستقبل ـ واذن فعلى اى نحو يتصور **برغسون** التطور ؟ انه لا يتصوره على نحو ما تفعل الآليـة اى عبارة عن اضافات عرضية لمجموعة الاحداث الطبيعية او على نحو مـا تفعـل الغائية اى عبارة عن ان كل شيء موجود دفعة واحدة وانه من الممكن ان يرى المستقبل فى الحاضر فليست هذه الا نظرة جزئية ثابتة قائمة على التصور العقلى الذى يدرك الاشياء خارج الزمان بينما الحياة تقدم وديمومة ، ان **برغسـون** يتصور التطور جهدا خلاقا ووثبة حيوية L'élan vital مبدعـة خلاقـة هى دفعة باطنية لها القدرة على ان تصنع الاعضاء بوسائـل مختلفة ـ وهذا التطور ليس سلسلة من التكيفات مع الخارج كما يقول المذهب الآلى ولا هو تحقـق لمقصد كلى معين من ذى قبل فهو عبارة عن حركة حيوية ليس لها اتجاه مسبق انها وثبة اشبه بقنبلة انفجرت فتناثرت أجزاؤها فى اتجاهات مختلفة تشيع

في كل ما تحل به ميلا للتغلب على المادة وللتحرر منها الا انها في اول امرها ارادت ان تصانع المادة فجاءت شبيهة بها في جمودها اذ ظهرت في النباتات ثم بدأت تتحرر في مختلف الحيوان في النمل والنحل ثم اختارت الانسان الذي عقدت عليه الامل في التحرر من القيود المادية اذ زودته بالعمل الفكري ، ان هذه الحياة التي تستمر في الخلق والابداع هي الله وانهما ليسا الا اسمين لمسمى واحد .

الأخلاق :

ان الاتجاه الذي اتخذته الحياة او الوثبة الحيوية اولا في الغريزة قد أدى الى ظهور مجتمعات مغلقة يخضع فيها الحيوان للغريزة وفيما اتخذته ثانيا في الفكر قد ادى الى ظهور الانسان وعن هذين الاتجاهين قد تولدت اخلاق مغلقة Morale close واخلاق مفتوحة Morale ouverte اخلاق مغلقة في المجتمعات التي تسودها الغريزة وهي جماعات الحيوان التي قوامها افعال لصيانة الحياة الاجتماعية ومجتمع الانسان الذي قوامه طائفة من النظم للمحافظة على كيان المجتمع ضد المجتمعات الاخرى تتولد عنها التزامات ناشئة في الضغط الاجتماعي ، ولما في مجتمع الانسان من التمسك بحفظ وجودها يصبح لها طابع قدسي ، ان هذه الاخلاق المغلقة في المجتمع الانساني تقوم بنفس الدور الذي تحققه الافعال الغريزية في الحيوان لكن الانسان بما له من نزوع الى الامام منجذب الى اخلاق انسانية قوامها ممارسة العدالة والرحمة تزول فيها الفروق بين الافراد والاوطان وهذا الضرب من الاخلاق هو الذي يكون الاخلاق المفتوحة التي تجد اساسها لا فيما تمارسه الجماعة من سلطان على الافراد وانما فيما يقوم به الابطال من صنع التاريخ بما لهم من استعداد للوثبة الخلاقة امثال الانبياء والمصلحين والقديسين هؤلاء الذين لهم تأثير على النفوس والقلوب والذين يجذبون الناس بالقدوة ويخاطبون فيهم الحساسية فيستجيبون لنداءاتهم .

الدين :

وكما فرق **برغسون** في الاخلاق بين الاخلاق المغلقة والاخلاق المفتوحة فانه يفرق في الدين بين الدين السكوني Religion statique والدين الحركي Religion dynamique فالحياة التي اتجهت اتجاه الغريزة واتجاه العقل قد تكفلت باعادة التنظيم الذي يفسده العقل فيما يلاقيه الفرد من ارهاق وفيما تلاقيه الجماعة من تفكك وهو الذي نشأ عنه فقدان الطمأنينة والصفاء النفسي وقد اتخذت الحياة من الخرافات سبيلا الى اعادة التنظيم بحيث تعود الطمأنينة الى النفوس ـ ففي الانسان وظيفة خرافية بامكانها ان تخلق آلهة أو قوى الهية تعيد للانسان الطمأنينة التي فقدها باستعمال **العقل** ـ واعادة التنظيم باتخاذ الخرافة سبيلا الى الطمأنينة هو ما يسميه **برغسون** بالدين السكوني ـ وهذه الوظيفة الخرافية تقوم في الانسان مقام الغريزة في الحيوان

التى تجعله يحيا حياة غارقة فى الطمأنينة ـ الا ان هناك سبيلا اخرى تحقق للانسان الطمأنينة على شكل ارقى مما تحققه الوظيفة الخرافية فى الدين السكونى والغريزة فى الحيوان هو سبيل التجربة الروحية التى تجد مصدرها فى الحدس الذى هو ضرب من الاتصال بالجهد الخلاق او الله ـ هذا الشكل الراقى الذى يحقق الطمأنينة بالاتصال المباشر بالله هو ما يسميه **برغسون** بالدين الحركى وانك هنا تقف فى فلسفة **برغسون** على صوفية تقوم على الاتصال او الحب لكنه حب الله للانسان وهو فى نفس الوقت حب الانسان للانسان وحب الانسان لكل موجود بواسطة الله هذا الحب هو الوثبة الحيوية التى تكمن وراء الوجود ويظهر بكل وضوح ان المسيح هو مثلها الاعلى ٠

ص٠ ب٠

ضميرك مات !

شعر : رياض المرزوقي

اذا ما تمردت الذكريات بقلبك فوق زحام الحياة
تناسى وجودى ، تناسى ، وداعا فان رفيقك فى الدرب مات
حبيبك مات !

* * *

أنا كل شعرى هدية شوق لليلة عرسك والقبلات
تكلمت وحدى ، وأحببت وحدى وسافرت وحدى مع الأغنيات
فما كان لى غير روحك روح ولا كان لى غير ذاتك ذات
حبيبك مات !

* * *

أنا اليوم أحيا لفنى ، وفنى سعادة قلب كثير الشكاة
فانى سئمت نفاق الصبايا وذل السؤال على الطرقات
أريد حياة الفضاء ووهمى صنعت ، ولكن زمانه فات
حبيبك مات !

* * *

دعى عنك كل شعور وموتى فان حبيبك ما مات لكن
ضميرك مات !

٥٠ م٠

صمود بين الوانه القديمة والجديدة

بقلم : ابراهيم بن مراد

أمامى الان مجموعة من النماذج الشعرية للشاعر نور الدين صمود ، لم يجمعها زمان واحد ولا مكان واحد من حيث النشر . ومن خلال هذه المجموعة تبين لى ان شعر نور الدين صمود ينقسم الى قسمين : قسم أريد أن أسميه « الوانا قديمة » ، وقسما اراد الشاعر نفسه ان يسميه « الوانا جديدة » . وسننظر فى القسمين .

فى الالوان القديمة يبدو صمود شاعرا غنائيا فى الرتبة الاولى . فهو شاعر العطر والشذى. شاعر المرأة والحب. تصاعد كلماته رقيقة ، هامسة ، حاملة قد اخصبت صورا شعرية ومعانى لم تضر بها المسحة التقليدية الا قليلا ... تنظر اليه من خلال هذه الالوان ، فتراه يتخبط فى قيود من حرير ، او يتمرغ على فرش .. من « سندس خضر واستبرق » ، فى جنة دانية قطوفها ، قد اجنت له رياضها « تفاحا » وريحانا ! ! لقد سلخ الفترة الاولى من حياته الشعرية يتعبد للعيون ، يحاورها ، ويستلهم الجمال حيثما انزله الله . فتقرأ له فى « الجبل الاخضر » :

على قمة الجبل الاخضر   هناك نهيم بفصل الربيع
فنعبث بالشجر المزهر   ونمضى مع الوهم حتى نضيع
... سنبنى على الورد اعشاشنا   ونغزل بالعطر هذا الفراش .
ونقضى الحياة لدى وكرنا   وحارسنا غلة او فراش (1) !

ثم تقرأ له فى : « تحفتان » :

اذا التفت العطر نحوى سأمضى   وأتركه دامى الكبرياء
وان غمر القلب عطر الهناء   رأيت بعينيك معنى الهناء
لعلى انظم بيتا رقيقا   من الشعر اكتبه بالعبير ،
عساى أنظم عقدا جميلا   من النجم فى خصلة من حرير (2) !

ثم تقرأ له فى « رسالتها » :

وانساب فى دنياك مثل فراشة   يظللها فى الروض عطر الازاهر ،
وأمضى وأمضى أسأل الورود ما الهدى ؟   فيركض فى عينى سحر المناظر (3) .

ثم تقرأ له قصيد « غيوم » ، فتلمس الاسى والحزن يخيمان على كونه الشاعرى ، لان حواءه بجانبه « يمتص السقام منها شبابها » :

واذكـر ايـامنـا الـذاهبـات وأسأل وهمى : تراها تؤوب ؟
ليضحك عمرى ، كفصل الربيع واشدو بدنياه كالعندليب ،
وتورق افراح روحى الحزانى ويأتى الصباح وانسى الغروب (4) !

ثم تقرأ له فى قصيد « سحر وعطر » :

زرعت على عتبات الشباب حقولا من الفل والياسمين ،
ورويتها بالامانى العذاب وسيجتها بالمنى والحنين ،
ووشحتها بالشذى والظلال ، وضمختها بالسنى والعطور !
وعلمت ثغر الزهور الدلال وكم هام قلبى بتلك الثغور (5) !

ثم تقرأ له فى « جوهر وحرير » :

تسائلنى جزيرة العشاق
فى حيرة المشتاق ،
تسائلنى عن انهر النضار
تلوح فى انهمار
شلال جوهر ونار ...
تنساب فوق صدرك اللجينى ،
فى عطرك المغنى ،
فى شعرك الحريرى
انهار عنبر ونور (6)

وتطالعك « عيناك جدولا نبيذ » فتقرأ له فيها :

عيناك يا حبيبتى بحيرتان
اراهما فابصر الضياء والظلال
... اراهما فتفتح الدروب
على عوالم الطيوب ،
ويوشك الخيال ان يرى الغيوب
عيناك جدولا نبيذ
عمرهما خدر ... (7)

هذه نماذج من الوانه القديمة ، يلاحظ القارىء انها متحدة فى موضوعها . فهى معان متكررة لخواطره بعينها . فالشاعر فى كل حالاته يجرر وراءه « ذيولا » من الحرير ، يوشيها التبر واللؤلؤ والجوهر والجمان .. ويضمخها العطر والشذى ، والروائح متجمعة متفرقة ! ولكن معانيه رغم رتابتها وتكررها طلية ، تبعث الدفء فى الحس ، وتحرك الخيال ...

من الواضح ان الشاعر ، فى مرحلته هذه ، ما كان يقيم شأنا للكلمة

« الطيبة » او « النافعة » حسب تعبير الالتزاميين • فهم صمود ، هو البحث عن كلمة « جميلة » يهمسها في اذن حوائه • فهو على مذهب « البرناسيين » (Les Parnassiens) الذين يرون ان كل نافع قبيح (Tout ce qui est utile est Laid) • وكأني بصمود يقول مع نزار قباني : « انا ناقل عطر • سفير يحمل الزنبق الى مزهرياتكم •• ليس عندي لكم خبز •• ولا كساء •• ولا دواء •• حياتكم أثمن من ان تستحيل الى مخبز لا تعبق منه الا رائحة الطحين ، وحروفي اثمن من ان تكون قنبا يحرق في ذلك المخبز • » (8) فصمود من تباع « الفن للفن » ، يتخبط في عوالم يحوكها وهمه ويبنيها خياله • يتيه في جزيرة احلام ــ او ضياع ، كما سماها ــ طفلا شرودا تستهويه ثغور الازهار الباسمة ، والوان الفراشات الزاهية ، يتيه وراءها فرحا مسرورا ، مجنونا ترك الدنيا ومنافعها لاهل الدنيا ومنافعها • يسارق النجم غمزاته والبدر خفقاته والشمس المشرقة رعشاتها ، ليجمع باقة من الالحان والالوان يقدمها هدية لعيني حبيبته ! •••

فمرحلته هذه ، اذن ، مرحلة انفصالية ، يطيب للالتزاميين ان ينعتوها بالسلبية والانهزامية • قد عبر فيها الشاعر عن « جنونه » بصورة واضحة ، لا التباس فيها • وهل الجارون وراء الاحلام والاوهام غير مجانين ؟ وهل التائهون في جزر الضياع ، ينشدون الغبطة اينما حلت ، غير شعراء خياليين يأكلهم وهمهم وجنونهم ؟ ولكن الجنون درجات ، والوان ! •• ذلك ما كانه صمود في مرحلته الاولى • شاعرا « طوبائيا » ينشد الفرحة ، بعيدا عن دنيا الناس وواقعهم ، متصوفا ، قد انعزل في عالم بعيد ، وانفصل عن اسباب الحياة « الخارجية » ــ الاجتماعية ــ منعكفا على ذاته تزكيها خيالاته واوهامه ولا اراه من المجدى ، اعتبار ما كتبه صمود في بعض المناسبات الوطنية شعرا « التزاميا » يشارك به المجتمع ــ او العالم الخارجي ــ مشاعره واحاسيسه • بل انه حتى في قصائده تلك لم يتخلص من اطياف عالمه هذا • فربة الشعر قريبة منه دائما بعطرها وشذاها ، والعصافير الصادحة ، والجداول المترنمة ، والفراشات السابحة في بحر من النور ، والزهور الباعثة في الفضاء شذى وعطرا •• كل هذه الملامح لعالمه « الذاتي » لا تغفله ولو اقتحم عالم الناس • واذكر اني سمعت له مرة في الاذاعة قصيدة قيلت في عيد وطني القاها امام فخامة الرئيس ، قد تجسمت فيها كل تلك الصور ، منتزعا تشابيهه فيها من عالمه « الوردي » •

اما من حيث الشكل ، فان القارىء يلاحظ شغف الشاعر بالبحر المتقارب وهو بحر شغف به الشابي من قبله • ولا غرابة فالبحر رقيق تناسب انغامه الموسيقية ما يتموج في شعر صمود من عطر ، ويضوع من شذى ، وما يرتعش من انغام ويخفق من أحاسيس الحب والدفء •• ولكنه ، كشاعر ، دأبه اصطياد الانغام الجديدة والصور البكر ، ما كان ليهدأ عن الجوس والبحث

عن ثوب جديد مناسب لكلمته الشقراء ٠٠ لذلك ، نراه يهتم بقضية « الشعر الحر » فينشر مقالا فى الفكر ، ثم آخر فى صفحة العمل الادبية ٠ ثم نراه يتجه جادا ، الى الاهتمام بكلمته الشعرية ، اذ رآها ، فى ثوبها التقليدى القديم ، اشبه بعروس يسمع صوتها ، ولا يرى وجهها ، ترفل فى بهرجها وزينتها التقليدية التى لا يتسنى للانسان الحديث ، الذى سئم الرتابة ، والالوان الصارخة ان يتذوقها ٠٠ لذلك نراه يبحث لها عن ثوب بسيط ، ملائم فى جماله ومظهره للكلمة العربية الشعرية الحديثة ٠ قد آمن بان الشعر لم يعد كأس ذهب فى يد أمير ، بل اصبح قطعة خبز فى فم كل جائع للخبز والحرية » ٠ (9) اذن ، فقد سار صمود فى ركب « اليساريين » ، الذين حاولوا الخروج بالوحدة الايقاعية للقصيدة العربية الى شكل جديد ، بسيط ، يتحاشى الرتابة ، والصرامة ، والصخب فى الايقاع ٠٠ فنقرأ له قصيدة « السنابل » التى اثارت بعض الضجة فى الوسط الثقافى – على صفحة العمل الادبية ، ونقرأ له قصيدة « جوهر وحرير » ثم قصيدة « عيناك جدولا نبيذ » ، ثم قصيدة « صمود » التى نلمس فيها تغيرا فى الشكل والمضمون :

« كضياع النورس الغرثان ليلا فى الخضم الهادر
تاه ما بين سمائين بقلب حائر
وبعزم ثائر
حوله الافق استدارا
وتوارى ٠٠ » ٠

ويختم القصيد ، قائلا :

« نحن كنا مثل ذاك النورس
فى اشتداد الحندس
فى التراب التونسى ،
فاملئى يا شمس أرضى
واغسلى بالنور عرضى !٠٠ » ٠ (10)

ولكن هذا الاهتمام بالشعر الحر يبلغ به حد الهوس ، فنراه يوجه طعنات للشعر العمودى والشعراء « اليمينيين » العائمين فى بحره ٠٠ لعل « الناقد » كان يظنها ضربات قاضية عليهم قاصمة لهم ٠ هى دعوة صريحة الى تطليق الشعر العمودى ثلاثا ، وتزوج الشعر الحر زواجا كاثوليكيا ! ! أظهر الشاعر هذا العداء فى مقال طويل أسماه « بروكروستيس وثيسيوس » – الشعر العمودى والشعر الحر – نشرته صفحة « ادب وثقافة » بجريدة العمل ، بتاريخ 22 افريل و 6 ماى 1966 ٠

وملخص القصة ان « بروكروستيس » فى الاسطورة الاغريقية ، عملاق يستقبل ضيوفه ليعبث بهم ، فهو يقدم لجميع ضيوفه سريرا واحدا ينامون

عليه ، ويلجأ الى تشويه الطـويل والقصيـر من المسـافرين حتى يتسـاووا والسرير · وقد قيض القدر « ثيسيوس » ليقضى على هذا الجبار الفاتـك ، فيخلص العالم والمسافرين من شره · فقدم له جـرعة من دوائـه قضت عليه يرى صمود ان قصة الشعراء العرب مع الشعر العمودى هى قصة المسافرين مع بروكروستيس · وحجة صمود فى ذلك ان الشعر العمـودى يفـرض على اصحابه شروطا جائـرة تنتهى بهم الى « الحشو » و « التمديد » فى الكـلام بشتى الوسائـل « ليسدوا الفراغ الذى يفرضه عـدد التفعيلات المعينـة فى البيت التقليدى » · فهم (يقطعون) بعض ما يريدون قوله · وهو « قطـع ظاهر بغيض ليس له من مبرر الا ان الوزن قد ضاق عن المعنى الذى يريـد (الشاعر) ان يقوله · » ويضرب امثلة متعددة على ذلك ·· مثل قول الشاعر طانيوس عبده على بحر (الكامل) :

« **القـى مسـدسه الخـؤون ، وقـال : مـت ،**
انى سأذهب راضيا ، فاذهب الى ··· » (II)

فالشاعر قد قطع رجلى « البيت على طريقة « بروكروستيس » ، بل انه قطع رأسه فاصبح من المستحيل فهمه دون شرح » · والدواء الناجع الذى يقترحه صمود ليقضى على هذا العملاق ، هو الشعر الحر · فهو ثيسيوس » المخلص : « لقد خلص ثيسيوس العالم والمسافرين من بروكروستيس بجرعة من دوائه · ألست معى ان الشعر الحر هى الجرعة التى تقدمها لعملاق الشعر العربى ؟ » قد « يصوت » البعض لرأى صمود بان « جرعة الدواء التى نقدمهـا لعمـلاق الشعر العربى هى الشعر الحر » ، وقد تقنعهم براهينه وحججـه ·· ولكنى اعتقد ان المشكلة لا تتطلب كل هذا الحماس · قليلا من التخفيض فى درجات الحرارة ، ويكون الاتفاق · وهل يعتقد الاستاذ الناقد ان الشعر العمودى عاجز عن التكيف وحاجز مانع من الابداع ؟ لينظر فى آثـار الشابى ، احد دعائـم النهضة الشعرية الحديثة فى مرحلتها الاولى ، وفى آثـار نزار قبانى وهو شاعر عمودى من طراز اول ــ فسيتبين له ان فى مستطاع الشاعر « العمودى » ايضا ان يكيف التشكيل المكانى والتشكيل الزمانى للكلمة الشعرية كما يبتغى ، وان يهندس البيت الشعرى كما يشاء له ذوقه ، ويشاء الواقع الحضارى الذى يعيشه المثقف العربى اليوم ··

لكأن الشاعر قد أخذ على نفسه عهدا الا يكتب بيتا واحدا ذا صدر وعجز · ولا شك ان « اليمينيين » من قراء « أدب وثقافة » قد وضعوه فى رأس قائمة أعداء الشعر العمودى فى تونس ، او العالم العربى كافـة ·· ومن هنـا كان « الجو » ملائما لظهور « الالوان الجديدة » والفـرصة مـؤاتية لانبعـاثها ··· فكانت « مأساة الشيخ مصطفى » اولى المحاولات التى نشرتها « الفكر » (I2) وقد قام حولها جدال ــ على صفحات الفكر ــ · وقد علق عليها الشاعر فى عدد جانفى I968 من الفكـر (س I3 · ع · 4) · فقال انـه أراد ان يقـدم فيها

« مأساة انسان بسيط ضرير لم ير النور منذ وجد ، وسيرحل دون ان يراه ، يجلس وحيدا امام باب المقبرة يحصى الموتى بوضع حصوة صغيرة في قلة ـ إذ لا يستطيع إحصاءهم بطريقة أخرى لانه أعمى ـ ثم يقرأ الفاتحة وبعض الدعوات ، واثر ذلك يقرأ قوله تعالى : « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ٠ واخيرا ، يسقط الشيخ مصطفى « فى نفس القلة التى كان يعد بواسطتها الموتى ٠ » وهو رمز لموته ٠ قال صمود انه قام « بتسجيل اسطورة » تونسية سمعها منذ الصغر ٠ فهو قد التجأ الى الاسطورة يستوحيها ، والى القرآن يقتبسه ٠ واقتباس الاساطير ظاهرة عرفها الشعر فى الشرق العربى لدى شعراء « جيل الثورة » الباحثين عن « الالوان الجديدة » شكلا ومضمونا ـ ٠ وهذه الاسطورة ، كما يبدو ، رمز لروتينية الحياة ولا جدواها فالشيخ مصطفى عجوز أعمى ، قد تآكله الضعف والوهن :

« لكنما طريقه ظلام

« وعمره ظلام ٠٠٠ »

يشيع النازحين عن هذا الكوكب بكلمات هى القتام عينه والسوداوية نفسها ٠ أما نهاية القصيدة فينبعث منها تشاؤم يسطم الانوف ! ! ولعل الشاعر ، من خلال تصويره لمأساة هذا الشيخ الضرير ، اراد تصوير مأساة الناس جميعا فى هذه الحياة ، فكل من عليها فان ٠ وهل الانسان غير ضرير يتخبط فى هذه الحياة ؟ نهايته القبر ٠ تقف جميع اعماله ومواهبه ، وأماله ، ومطامحه ، عند هذه اللحظة التى تفصل بين عالمى الحقيقة والخيال ٠ فاى جدوى لحياته ، وأى معنى لوجوده ؟ وهنا تلتقى مأساة الشيخ مصطفى بمأساة « العازف الاعمى » للشابى ٠ فالشبه قريب جدا بين القصيدين ـ فى المعنى لا فى المبنى ـ ٠ يقول الشابى :

أدركت فجر الحياة أعمى وكنت لا تعرف الظلام
فأطبقت حولك الدياجى وغام من حولك الغمام
وعشت فى وحشة تقاسى خواطرا كلها ضرام
وغربة ما بها رفيق وظلمة ما لها ختام
تشق تيه الوجود فردا قد عضك الفقر والسقام
وطاردت نفسك المآسى وفر من قلبك السلام » ٠

ثم يقول قول المتشائم المستسلم :

فكلنا بائس جدير برأفة الخالق العظيم ،
وكلنا فى الحياة أعمى يسوقه زعزع عقيم
وحوله تزعق المنايا كأنها جنة الجحيم » (13)

وجلى ما بين القصيدين من التشابه فى المعنى وان اختلفا فى الشكل ،

وتجانس فيما يخيم عليهما من شعور التشاؤم والاستسلام والاحساس بتفاهة الحياة ولا جدواها ...

وتلت « مأساة الشيخ مصطفى » قصيدة « من مذكرات راقصة محترفة » ، نشرت فى العدد الموالى من الفكر . (I4) وفى هذه القصيدة يصور الشاعر « مأساة » أخرى هى مأساة فتاة ، راقصة محترفة ، تمنح رقصاتها لكل راغب ومواعيدها لكل طالب . فهى مشاهد تتكرر لها بلا انقطاع ومرة تشاهد كهلا ـ ذا عكازتين ـ ينتحى « ركنا ركينا » ، فتفزع اليه بعد ان يعتريها الفتور من لهو الشباب ، راغبة منه مراقصتها طالبة منه موعدا . ولكنه لا يهتم بعبث الشباب . فيلبى ان يشرب معها كأسا ، ثم ينصرف غير عابىء لا مباليا :

« خارجا من ركنه يسحب اثره
قدميه
يمتطى عكازتيه ! » .

هذه القصيدة ، فى نظرى ، هى قمة عمل صمود الشعرى ، حتى الان . فهى تفوق القصيدة السابقة من حيث الابداع الفنى ـ شكلا ومضمونا ـ رغم التشابه فى المعنى .. تصور هذه المأساة ما كنا قد تعرضنا له فى مأساة الشيخ مصطفى « من مظاهر الرتابة والروتينية المملة فى الحياة » :

« نغمة تلسعنى
سمعتها أذنى
الف مرة
فهى فى سمعى مرة » .

وما عثرنا عليه من مظاهر العجز والضعف والانطوائية . وما هذا الكهل او الشيخ ، العاجز ، الا رمز لما يعترى حياة الانسان من ضعف ووهن ... ونجد فى هذه المأساة ما وجدناه فى مأساة الشيخ مصطفى من تشاؤم وقتام فى نظرة الشاعر للحياة . فهذا الكهل ـ الشيخ ـ قد عزف عن مشاركة الشباب لهوه وعبثه ، اذ يرفض جسدا شهيا يهدى اليه نفسه بما فيه من لذة ومتعة .. وينسحب من الميدان يجر وراءه رجليه وعكازتيه ! ! أليس هذا جوابا صريحا على السؤال الخالد : هل تستحق الحياة عناء العيش فيها ؟ وهو جواب سلبى . والذى يزيد هذا الشعور « بلا جدوى » الحياة حدة ، هو فشل الراقصة الشابة وخيبتها فى استمالة الكهل ، الذى رفض الحياة تأتيه دفقا يغرى ، اليها . فطموحها قد انتهى بفشل . فكتب عليها ان تمثل دور « سيزيف » الخالد . « تلسعها » رتابة واقعها وحياتها ، المرة . وذلك ما يفرضه عليها احترافها ومهنتها ، التى جعلتها تمنح جسدها لكل راغب فيه ، فيكون وجودها شيطانيا مرعبا ، ويكون قد كتبت عليها اللعنة الابدية ! ...

فهى كائن ، ضجر ، فاشل ، ملعون •• اليست هذه هى مأساة انسان اليوم ، قد كتب على حياته الضجر والفشل واللعنة ؟؟

فالقصيد اذن ، رمزى ، قد اعتمد فيه الشاعر على « مخيلته » لا على الاسطورة • وهو رمز نستطيع اتخاذه لفشل الانسان فى هذه الحياة ، فشل الانسان الخائب • وقد تذكرك هذه « الخيبة » بـ « اربعاءالرماد » او « الارض اليباب » للشاعر الامريكى ت• س• اليوت • وقد تذكرك بمحاولة « غيلان » المسعدى الفاشلة ، ولكنها تذكرنى ، خاصة ، بقصيدة للدكتور خليل حاوى سماها « الكهف » (15) • يصور فيها عقم الزمن ، وخيبة الانسان المبدع فيه • يقول :

« وتركت خيل البحر تعلك
لحم أحشائى
تغيبه بصحراء المدى
عانيت رعب زوارق
تهوى مكسرة الصدى
يلقى على عينى ليل جدائل •• » •

ثم يختمها قائلا :

« ماذا سوى كهف يجوع ، فم يمور ،
ويد متجوفة تخط وتمسح
الخط المجوف فى فتور
هذى العقارب لا تدور ! » •

فخيبة الانسان متجسمة فى كلا القصيدين بصورة مرعبة •

ثم تلت قصيدة « الراقصة المحترفة » قصيدة « ريحانة سوداء » ، بعد زمن • (16) واول ما نلاحظه فيها ، هو وجود هذه العلاقة بينها وبين القصيدة السابقة ، من حيث الظرفان المكانى والزمانى اولا ، ثم من حيث خصائص الشخصيتين • فاوليتا ـ الريحانة السوداء ـ شابة جميلة ، عابثة ، تحيا لساعتها ، وتعيش حاضرها ـ مثل الراقصة المحترفة ـ • قد اقبلت « لوليتا » ليلا على هذا الملهى لتسلخ من عمرها ساعات فى اللذة والمتعة والمجون • جلست فى « ركن مهجور » • وطلبت « وسكى » • وأرادت اشعال سيجارة فاخذت تستلفت انظار القاعة اليها • « وتستهوى النظارة » واذ سرت فى جسمها النشوة ، وفعل « الجو » المعربد فعله فى أعصابها :

« فرمت بالكأس وقامت ترقص •
رقصت مثل المحمومة

حتى وقعت فوق الكرسى
متهالكة مهمومـة • » •

فهى ، اذن ، فتاة ينهب الليل والشبق من عمرها ساعات تهبها لهما قربانا فهى « بوهيمية » تقتل ثوانيها فى احضان المتعة ، تمزق جسـدها ، وتـدعه للذة نهبا •• حتى الغثيان • وانه لشبه قريب جدا ، بين « لوليتا » صمود ، و « جانين » نزار قبانى ، الفتاة « الوجوديـة » الفرنسيـة (17) ، فكلتاهما تعيشان حضارة واحدة ، فى مجتمع واحد ، هو مجتمع مجنون محمـوم يهب عمره لليل فى الاقبية والحانات •• وكلتاهما تعيشان للحظاتهما ، وتهبان جسديهما للمتعة قربانا ! •••

ان خيال « المأساة » يخيم على هذه القصيدة ايضا فهى صورة حية نابضـة للمجتمع الغربى الحديث الذى انتابه الجنون ، واصبـح يعيش على حسـاب اعصابه • هو مجتمع « حسى » قد طمر « روحه » وترك جسده فريسة للعنة والغثيان •• فاذا كانت قصيدة الراقصة تمثل مأساة الانسـان « الخائب » الفاشل » فان هذه « الريحانة السوداء » تمثل مأساة الانسان الذى فقد وعيه ، الانسان « الخائر » المجنون • فهو انسان بلا هدف ، يعيش فى عالـم غير ذى جدوى ، لا معنى له • وبذلك ، يكون لهذه القصيـدة حـظ من السلبيـة التشاؤمية ، وان خفت وطأة التشاؤم والسوداوية عما هى عليه فى النموذجين السابقيـن •

* * *

هذه ثلاثـة نماذج ، قد اتحدت فى شكلها ـ فهى من الشعـر المرسل ـ فى مضمونها وانى لاعجب لماذا سماها الشاعر « الوانا جديدة » • فهل هى جديدة بالنسبة له ، اذ لم يكتب مثلها من قبل ، ام بالنسبة للشعر التونسى ام للشعر العربى عامة ؟ انى أرجح الاحتمال الاول • فالشعر التونسى لـم يعدم مثـل هذه الالوان ، فى شكل « خطرات فلسفية » عرفت عند الشابى ، ثـم عند الشاعر احمد مختار الوزير ـ وان كانت فى شكل تقليدى ـ عمودى اما فى الشعر العربى ، فمن السذاجة القول انها لم توجـد قبل صمود ••• اذن ، هى الوان جديدة فى شعر صمود ، يـلاحظ القـارىء مـلاحظة جليـة مواطن الجدة فيها بالنسبة لالوانه القديمة ، لا من حيث الشكل فقط ، ولكن من حيث المضمون ايضا • اما من حيث الشكل فاننا نلاحظ اهتمام الشاعـر بالتشكيل الزمانى والمكـانى للقصيـدة ، اى وضعـه للقصيـدة فى اطـارها الموسيقى واختياره للمسافات والابعاد التى تؤديها الكلمات الشعرية فيها • وهو تطور تفرضه طبيعة الشعر المرسل • فالشكل القديم للقصيدة العربية يجعل حالة الشعر النفسانية خاضعة للاطار الموسيقى المفروض ، ومن ذلك يكون الاجهاد والمعاناة وقسوة الخلق • اما الشكل الحديث للقصيدة فيجعل « الصورة الموسيقية •• خاضعة خضوعا مباشرا للحالة النفسية والشعورية

التى يصدر عنها الشاعر » ٠ (18) وعلى طريق الايقاع الموسيقى ـ التشكيل الزمانى ـ يحاول الشاعر ايجاد تناسق وتوافق بين حالة القارىء النفسيـة ، المتلقية والعالم الخارجى ، وذلك بمحاولته خلق صور مكانية تتناسق والصور الموسيقية الزمانية ٠ وهو ما نرى صمود حريصا على ايجـاده ، وخاصة فى قصيدة « الراقصة المحترفة » ، عند وضعه لها فى شكل حـوار ، تتكرر فيه الصور الموسيقية متحدة والصور المكانية للكلمات المتكررة ، وخاصة فى هذا المقطـع :

« لم يقل : هل ترقصين
لم يقل : هل تسمحين
لم يقل : معبودتـى
لم يقل : فاتنتـى
لم يقل شيئـا ، ولكن ٠٠ » ٠

والتكرار النغمى لـ « لم يقل » فى اول كل بيت ، صورة موسيقية تسمع ، بالعين ، فى هندستها العامة ، وتسمع بالاذن فى وحدتها النغميـة ، تبعث فى حاسة السمع والنظر لدى المتلقى راحـة تتلقـاها الحـالة النفسيـة بارتيـاح واطمئنان ٠

اما مضمون القصائد الثلاث ، فيلاحظ القارىء انتقـالها من دنـى الـوهم والعطر ، الى عالم اكثر واقعية وحقيقة ٠ لقد نزل الشاعر من « برجه العاجى » المضمخ بالعطر والشذى الى عالم الناس وواقعهم ، ولكنه مرتاب ، حذر ، يماشى الناس ويصافحم عن بعد فهو يرتاد اماكن معينـة « خـاصة » ليلتقط منهـا صوره ويستوحى خواطره ٠ فهو ، فى هـذه النمـاذج لم يتخلـص بعـد من « المثالية » التى رافقته طيلة مرحلته الاولى ٠ لقد خفت حدة غلوه فى الايمان بالكلمة « الجميلة » ، والاخيلة التائهة فى عالم ضبابى ، بعيـد ، بعيـد ٠٠ واصبح يؤمن ـ ولو ايمانا يشوبه الشك ـ بالكلمة « الطيبة النافعة » ٠ فهو معلق بين برج « الفن للفن » المتشامخ ، وبين « واقع الملتزمين » ونتيجـة تشككه وحيرته واضحة فيما ينتهى اليه من آراء سلبية تجاه الحياة والناس لقد حاول ان يصور نوازع النفس البشرية من خلال « المأساة » التى يعانيها عالم اليوم ، هذا العالم المجنون بما يعتريه من متناقضات ، فهو يؤوى الشيخ مصطفى ، والكهل ذا العكازتين ، الى جـانب الراقصـة المحترفـة ولـوليتا البوهيمية ٠٠ ولكن تصوير الشاعر لهذه النوازع كان جزئيا فلـم يغص فى اعماقها البعيدة ليسبرها ، ولم يكن تصويره للمأساة شاملا ، ايجابيا ، بل اكتفى ببعض الجوانب التى لا تسمح لنا بوضعه فى قائمة « الالتزاميين » ٠ وقد يخال صمود انه أصبح ذلك « الملتزم » الهادف ، المنشود ، فى محاولتيه اللاحقتين : «الحماس»(19) ـ التى تلاحظ عودة الشاعر فيها على بدء ، وتحطيمه لعهده الذى كتبه على نفسه الا يكتب شعرا عموديا اذ أنه نادى بوأده حيـا ،

فكتب « الحماس » فى قالب تقليدى ، عمودى ، قديم ـ ثم فى قصيدة « المدخنة » (20) على شكل الالوان الحديثة الجديدة السابقة ـ ففى هذين القصيدين ينغمس الشاعر فى دنيا الناس حتى أذنيه ، فلا يكفيه الامساء والاصباح معهم ، بل نراه يتعشق مصانعهم ، ويستطيب ما تنفثه من دخان ٠ وشتان ما بين العطر والشذى فى الوانه القديمة والدخان الخانق ، المتصاعد من هذه « المدخنة » ، انه انتقال سريع او قل هو تدحرج سريع من عل ٠ لقد نزل الى حمأة التراب وصخب العالم الآلى المجنون ، الذى تبعث اشباحه الجهنمية ظلاما فى القلب والبصيرة ، الشعر « جنون » ٠ وتقاس عبقرية الشاعر على قدر « جنونه » ٠ وقد كان صمود فى قمة « جنونه » فى الوانه القديمة ، ضم فى الوانه الجديدة الثلاثة الاولى ، ولكنه ، اخيرا ، حاول ان « يتعقل » ، فى « الحماس » و « المدخنة » ، فيؤاكل الناس ويشاربهم اكثر مما ينبغى ، ولعله يخال ذلك التزاما ٠ ولكن ، ليعلم انه ، فى هذين القصيدين لم يخلق الا « هياكل عظمية » لا حياة فيها ٠٠ واين هى الحياة فى قوله :

« فأحبو أرضكم يا اخوتى واحبو بعضكم حبا عميقا
وافتحوا أذرعكم ٠٠٠ وابتسموا تفتحوا للخير فى الارض طريقا » ٠

فهل ان الشعر وعظ منبرى ؟ ؟

ثم اين هو العالم الشعرى الصافى ، الهادىء ، المريح ، الذى تغمره امواج الحياة والحب والجمال ، من هذا العالم الذى تتنفس فيه المداخن ، وتفجر آلات المصانع فى احشائه براكين وزلازل ؟ ؟ شتان ما بين صمود « المجنون » وصمود «العاقل» ٠ ولكم نود ان لو رجع الى « جنونه » وشروده ، يتيه فى عالم المأساة ، ليصور لنا صورا رائعة ، لان عينه الشاعرة ، الثاقبة ، التى تستطيع ان ترى الجمال فى أجلى مظاهره ، هى غير عين « العقلاء » التى لا تستطيع ان تنظر أبعد من الظواهر ، بل ترى الاشياء خاضعة لقوانين منطقية معقولة ٠٠ فرسالة الشاعر ، هى ان يطير بالناس على بساط من الريح ، ليحملهم الى عوالم الجمال الخفية ، ومتى عرفوها ، صفت حياتهم ، وانقشعت غيومها ٠٠٠

والشعر « مأساة ، او لا يكون » ! ٠٠٠

أ٠ م٠
بشرى (قبلى) ٠
مارس 1968 ٠

◆ **مراجع البحث :**

(1) الفكر ٠ س 5 ٠ ص 273 ـ 1959 ٠

(2) مجلة « الاذاعة » ٠ عدد 11 ديسمبر 1961 ٠

(3) الفكر . س . 8 . ع . 5 • ص 11 • فيفرى 1963 •

(4) الفكر • س 10 . ع . 1 . ص 42 . اكتوبر 1964 •

(5) الفكر • س 10 . ع 5 . ص 21 . فيفرى 1965 •

(6) مجلة « الشعر » (مصرية) ، فيفرى 65 • س 2 • ص 62 •

(7) جريدة « العمل » ـ ادب وثقافة ـ عدد 4 • فيفرى • 1966 •

(8) نزار قبانى . الشعر قنديل أخضر . ص 121 . ط 2 . جويلية 1964 ـ المكتب التجارى ـ بيروت •

(9) نفس المرجع • ص 45 •

(10) الفكر . س 11 . ع . 8 . ص • 23 / 24 ـ ماى 1966 •

(11) ويعلق الشاعر شارحا هذا (القطع) : « أى اذهب الى حيث ألقت رحلها ام قشعم » • أى ، الى النار •

(12) الفكر • س 12 • ع • 2 ـ ص 43 ـ نوفمبر 1966 •

(13) الشابى . اغانى الحياة . ص 117 . ط • 2 الدار التونسية للنشر 66 •

(14) الفكر • س • 12 . ع . 3 . ص 37 ديسمبر 1966 •

(15) خليل حاوى • ديوان بيادر الجوع • (الافتتاحية) . ط 1 . دار الاداب بيروت ـ 1965 •

(16) الفكر . س 12 . ع . 6 . ص 26 ، مارس 1967 •

(17) نزار قبانى • ديوان قصائد • ط 4 • 1960 ـ المكتب التجارى ـ بيروت

(18) الدكتور عز الدين اسماعيل • التفسير النفسى للادب • ص 61 • دار المعارف ، بمصر • ط 1 • 1963 •

(19) الفكر . س 13 ـ ع ، 3 ـ ص . 18 ـ ديسمبر 1967 •

(20) الفكر • س 13 ـ ع . 6 . فيفرى 1968 •

في العبودية

تعريب : محسن بنحميدة

كان جندى شاب يعجب من أن أقرانه عندما يمنحون جـواز سبعـة أيـام يستغلون مداراة مراقبيهم فيستسيغون ثمانية أيام أو تسعـة فكان يقول ان الفوضى لفى كل مكان فيشمل فى اشارته هذه كل الحـرب لكنه لا يشملهـا شمولا فى تفكيره .

وسلـك أوبـان Urbain ذلك المسلك الوعر فكان يقـول لنفسه ليس الشر فى طاعة البشر إنما الشر فى حصارهم للحكام وتملقهم إياهم بغية بعض نوالهم وبذلك هم عبيد ... هم عبيد بتلك العقلية لا بالطاعة .

وتتبعا للفكرة فمجرد الطاعة دون أى تملق ودون اى حب واى احترام إلا للنفس هو درس للرؤساء وبألف وجه لأن الأوامر المزرية تنعدم بالطاعة شأن الرؤساء المزرين أيضا .

وأحسن من ذلك ففى عهد العبودية الرئيس الحق ليس محترما لأنه عادل فلا ينفع إذن تملقه وعكسا لذلك فان الطموح يوجد من يخاطب فيدفع نفسه بما يحصل عليه من هبات وما يمنح منها غيره فهو تملق من أعلى السلـم الى أسفله .

وهذا النظام يجب عليه أن يرفع الى أعلى الأعالى نفوسا صغيرة خـالية من الفضيلة مذبذبة مغرضة بالضبط ما يجب ليلقى فى غمار الحرب شعبا ساذجا جاهلا حقيقة الأمور مهيأ للعبودية أعنى للطاعة والرضى .

وهؤلاء الرجال عاجزون أيضا على قيادة الحرب من أجـل أخطـاء التفكيـر المغرض كما هم عاجزون على إنهائها .

ها هى الاشارة مكتملة وممتلئة أشياء الآن وإن المثـل الصغير ينير كثيرا لكنه يحسن بالمرء أن يدرك أيضا أن الاشارة الناشئة أفصح تعبيرا من الكلام .

أليس ذلك صحيحا فى الفصاحة .

تعريب : محسن بنحميدة

السلطان بين جدران يلدز

مسرحية بقلم : محمد الجعايبي

تقديم : عز الدين المدني

يسر مجلة « الفكر » ان تنشر فى هذا الشهر الفصل الاول من « السلطان بين جدران يلدز » وهى أول مسرحية تونسية كتبها محمد الجعايبي سنة 1911 ومثلتها فى نفس السنة فرقة سلامة حجازى المصرية على ركح « مسرح الروسيني » بالعاصمة .

وهذه المسرحية هى « رواية تمثيلية سياسية تاريخية وقعت حوادثها بالشرق الادنى فى غصون الثلاثين سنة الأخيرة » اى من حوالى سنة 1880 إلى قرابة سنة 1910 . وهى تتركب من أربعة فصول وتتألف من سبع عشرة شخصية أبرزها « السلطان عبد الحميد » . وتعتمد كلها على الحقيقة التاريخية . وقد استطاع محمد الجعايبي أن يروى لنا من خلالها قصة زوال حكم العثمانيين ، وتدهور ملكهم ، وانحطاط سياستهم ، وفساد رأيهم . وقد جاءت الشخصيات المسرحية ولا سيما شخصية السلطان موصوفة فى شىء من الحذق والدقة وكذلك الشان بالنسبة للشخصيات الثانوية الأخرى أمثال : مدحت باشا وتوفيق باشا وجواد بك . وقد نجح المؤلف فى إكساء « روايته » الجو المتوتر الدرامائى الذى يسود العلاقات بين مختلف شخصيات المسرحية . ومما زاده نجاحا وقوة تصاعد « الحركة » وتفاقمها وتواتر الأحداث وسرعتها ودراسة نفسية الشخصيات الثانوية دراسة نفسية وسياسية من ركودها واطمئنانها إلى حد فزعها وهلعها . وقد استطاع محمد الجعايبي ان يشحن شخصياته « بالبعد التاريخي » Dimension Historique وبالوعى المصيرى خصوصا فى الفصل الثالث من المسرحية وقلما ينجح فى ذلك مؤلف مسرحى ...

على ان هنـاك مآخذ فى هـذه المسرحيـة التونسيـة الأولى · وهى كثرة الشخصيات وقلة ظهورها وتطورها مـع تفـاقم « النـزاع » و « الحـركة » و « الاحداث » وهى كذلك الحـوار الذى يتسـم بالاسلـوب الصحـافى تـارة وبالسجع طورا وبالقرآن والامثال والاشعار أخرى زيادة على كونه متساويـا فى التعبير عند كافة الشخصيات (بقطع النظر عن الاخطاء النحوية ···)

وقد أكد لنا الاستاذان البشير الحنقى و محمد الصالح المهيدى أن صاحبهما محمد الجعـايبى قد الف هذه « الرواية » فى سنة كانت الصحافة التونسية فيها مغلولة محظورة بأمـر من « المقيم العـام الفـرنسى » ، إذ كان محمـد الجعايبى الذى ولد سنة 1878 وتوفى سنة 1938 بتونس العاصمة صحـافيا صاحب جريدة « الصواب » الأسبوعية ، فكتبها طلبا للرزق والعيش ·

ومحمد الجعايبى شخصية أدبية بارزة لم يكشف عنها ستار النسيان بعد · فهو أول كاتب مسرحى وهـو الاول الذى شجـع القصـة التـونسية بنشره « الهيفاء وسراج الليل » لصالح سويسى فى مجلته « خير الدين » سنة 1906 وهو الذى شجع كذلك ترجمة روائـع قصص المغرب ومسرحيـاته باعـانته لترجمة « فيـدورة » التى نقلها من الفرنسية العـربى الجلـولى سنة 1911 · فبهذا العمل المثابر كان محمـد الجعـايبى أول من وضع الحجر الاساسى فى صرح الادب التونسى الحديث ·

وهـو بالاضافة إلى ذلك كان مناضلا دستوريا انضـم للحزب الدستورى الجديد فى مؤتمر قصر هلال وانتخب عضوا فى مجلسه الملى ·

ولمحمد الجعايبى آراء حرة فى السياسة والاقتصاد والمرأة والاصلاح والنظم الاجتماعية يجدها القارى فى مقالاته « بالصواب » و « بخير الدين » ·

والملاحظ ان « السلطان بين جدران يلدز » قد نشرت لاول مرة سنة 1911 فى كتيب يقع فى 72 صفحة من القطع الصغير جـدا وطبـع بمطبعـة التقـدم بتونس العاصمة (*) ·

(*) ملاحظة : نشكر الاستاذين محمد الصـالح المهيدى والبشـير الحنقى على مدنا بمعلومات حول المؤلف والمسرحية ·



رواية

السلطان بين جدران يلدز

وهي رواية تمثيلية سياسية تاريخية وقعت
حوادثها بالشرق الادنى في غضون الثلاثين
سنة الاخيرة «تأليف» الكاتب البارع
السيد محمد الجعايبي صاحب
* جريدة الصواب *

(حقوق الطبع محفوظة لمطبعة التقدم)
(وحقوق التمثيل والترجمة محفوظة للمؤلف)

طبع بمطبعة التقدم بتونس نهج الحفيقة عدد ٢

صورة لغلاف الرواية في طبعتها الأولى

الفصل الأول

السلطان بين جدران يلدز

(يرفع الستار عن السلطان)

(السلطان) خانت عهودي حبائبي وزماني
والشعب لا يرجو سوى خذلاني

دهــر يســيء وأمــة لا تــرعــوى
عــن غيهــا بتــردد الحــدثـــان
حسبــوا السيــاسة لعبــة أو كــرة
مخلـــوقــة لتـــلاعب الصبيـــان
طمعــوا ولو علمــوا الحقيقــة لاكتفــوا
بالعيــش دون مــواطــىء السلطــان
ظـــل الالـــه بأرضـــه ووكيلـــه
وخليفـــة المبعـــوث بالـقـــرآن
سخـــروا بعمى مع أخى وتوهمــوا
أن يبلغـــوا منـــى مــدى الأمـــانى
إنـــى ســأخدعهم بكــل وسيلـــة
وأقــودهــم بحبـــائــل الشيطـــان
حتـــى إذا ركنـــوا إلى وســـالمــوا
جــرعتهـــم كــأسا مــن الأحــزان
وأذقتهــم طعــم الهــوان ولـــذة الـ
ضغــط الشديد على بــنى الانســان
أجعلهــم فـــردا وكلهـــم أنـــا
بوســـائـــط التغـــريـــر والخـــذلان
كى يعلمـــوا أنـــى الفــريد بضغطـــه
حتى غـــدا نيرون من أعـــوانى
هــذى سياستنـــا وذى أخلاقهـــا
فلتتخـــذهــا أيهـــا الثقـــلان

(الحاجب) مولاى ان مدحت باشا يريد مقابلة جلالتكم ·

(السلطان) فليدخل ·

(مدحت) مولاى ! إنى قد عرضت على مسامع جلالتكم منــذ مــدة مشــروع القانون الأساسى وصرحت لكم أن نشره فى مملكــة جلالتكــم المحروسة هو الوسيلة العظمى فى حفظ المملكة من الخراب والدمار ! وهــو العلاج الوحيد الذى تخف بــه وطــأة التداخــل الأروبى فى شؤون هــذه المملكــة المترامية الأطراف والتى هى مثار التنافس بين الدول وداعية التحاسد · وما من واحدة منهن إلا وتحلم بالاستيلاء على مقر عرشكم · ومعلوم ان هذه النقطــة التى جنى عليها موقعها الجغرافى هى جنة الدنيا بلا منازع وإن الذى يربض فيهــا إذا كان ذا قوة ومنعة يكون هو وحده السيد الحكــم فى طــول قارة أروبــا وعرضهـــا ·

ومع ذلك فقد بقيت انتظر جواب مولاى النهائى فى هذا الشان وكنت أود

أن أتركُكُم تدرسون هذا المشروع الخطير درساً مدققاً حتى يلوح لكم بما أوتيتم من الذكاء وتوقد القريحة أنه هو الترياق المجرب لاصلاح شأن هذه المملكة التى اصبحت ميدانا للثورات والقلاقل • ولكن قد طرأت أمور لم تكن فى الحسبان ، أوجبت حضورى لديكم الساعة ، وإلفات نظركم للمسارعة فى إعلان القانون الاساسى • فجلالتكم على علم من أن الامور ازدادت ارتباكا والثورات كادت تعم الوطن المقدس ، والفكر العام بأوروبا قد أصبح متهيجا ضدنا وروسيا تواصل السعى فى حل المسألة الشرقية أو بالتالى فى تحقيق أمانيها فى الاستيلاء على الاستانة لا سمح الله • ولقد كنت الساعة عند السير هنرى إليوت سفير دولة بريطانيا فوجدته ممتعضا ورأيت منه فتورا لم أره من قبل • وعند ما تجاذبنا أطراف الحديث فى الأحوال الحاضرة أوضح لى حرج المركز وخطارة المشاكل التى أصبحنا نسبح فيها • ولقد فاتحنى بكلمات ما كنت أظن أسمعها منه • قال لى يا مولاى : إن انقلتيرا وقعت فى ورطتين : فاما أن تميل لتركيا فتخسر سمعتها ونفوذها الأدبى فى المجتمع الدولى وفى الوقت نفسه تظلم الانسانية وتنصر الباطل على الحق وإما أن تجاهر بمناواة تركيا ومناقشتها الحساب فتخسر نفوذها بالشرق الادنى وتضيع مودة رعاياها المسلمين خصوصا الهنود فتفسح المجال لروسيا فترتع كما تشاء • على أننى قد ضحكت كثيرا لما أبلغنى ناظر خارجيتنا قرب انعقاد مؤتمر الاستانة لحل المسائل الخلافية لاعتقادى أنه لا يأتى بفائدة • وان الكأس قد ملئت والصلح قد فاض ولأن جلالة السلطان متصلب على إنى لا أنكر أن مطالب بعض الدول فى غاية الشطط وجلالته تأبى أن تلوث سمعتها فى أوليات مدة جلوسها بأن تمنح المسيحيين امتيازات وحقوقا لم يعرفوها من قبل سيما وأن عاطفة التعصب قد انتبهت كثيرا وحادثة فتاة سلانيك أقوى حجة على ما نقوله •

(السلطان) يا للحماقة ! يقول تعصب وهو أدرى بالحقيقة من سواه بل هو يعلم ويشارك بأمر دولته فى الدسائس والمكائد التى تنصبها الدول ضد الشرق وأهله •

(مدحت) فقلت له يا مولاى : هون عليك أيها السفير ! ان جلالة السلطان ليس كما تفكر ، بل هو رجل ديمقراطى متنور الفكر يرى ان إصلاح الحالة أمر ضرورى ، وان الاعلان بالقانون الأساسى قد دار فى خلد جلالته ، وربما صدرت الادارة بذلك فى القريب العاجل • قال لى ـ ماذا تقول يا صديقى القانون الأساسى أحقيقة ؟ ومتى يكون ذلك ؟ هل يكون بعد إتمام أعمال مؤتمر الاستانة ؟ قلت : لا ! قبل انعقاد المؤتمر بقليل أجابنى ـ بقليل : يا سعادة الباشا آذن لى بالله أن اخبر اللورد دربى ناظر الخارجية بهذا النبأ العظيم فقلت له : لا ! لا ! يا جناب السفير نحن نتحادث بصفة ودادية فلا نجعل للرسميات علينا من سبيل• ولقد أخبرتنى فى هذه الآونة بأمور لا أظنها رسمية • فأنا أجبتك أيضا ، وكشفت لك النقاب عن بعض الخفايا فان كنت

تعتبر حديثك معى حديثا رسميا فأعتبر أيضا حديثى كذلك ــ لا ! لا ! ليس رسميا وإنما نحن نتحادث كصديقين ولكن على كل حال أعلمك أن لو توفق جلالة الخليفة لاتمام هذا المشروع وإبرازه من القوة إلى الفعل فانه لا يعدم نصرة ومساعدة من دولة ابريطانيا العظمى ·

(السلطان) إننى أعجب ويحق لى أن أعجب من هذه المقدمات والتمهيدات التى بادرتنى بها يا مدحت ! ويلوح لى من خلال محادثتك هذه أنك مرتاب فى إخلاصى ، وميلى للدستور · ولقد قلت لكم غير مرة انى دستورى بكل معانى الكلمة ! ولكن آه يا وزيرى كم من صعوبات تحفنى ومسؤوليات تحيط بى ! أنت تعلم اننى لا أريد الملك وقد قضيت شطرا من حياتى فى عيشة البساطة والشظف ! فأنا فى غنى عن أبهة الملك والثروة والترف !

وقد توسلت إليكم أن تنتظروا أخى مراد ريثما تتحسن صحته ! وتقيلونى من حمل هذا العبء الثقيل فأبيتم · وأوقعتمونى فى الفخ · فأصبحت كما ترانى أحكى راكب سفينة عصفت بها العواصف ، والتهمتها النار فاما الحرق وإما الغرق ·

ذلك إما ان أعطى الدستور وأعلن بالقانون الأساسى فأعرض نفسى لغضب السفهاء وبقية الجامدين من أفراد الشعب فيتقولون على الأقاويل ويشيعون بين الجهلة والسذج ، اننى غيرت منطوق الشريعة ، وحكمت النصارى فى رقاب المسلمين وليس الخطر فى هذه الأزمة منحصرا فى أميال الشعب العثمانى بل يتعداها إلى إخفاق مساعينا التى بذلناها وسنبذلها فى تفهيم كافة المسلمين ان ليس توجد خلافة إسلامية فى غير سلاطين آل عثمان· وانت تعلم يا عزيزى مدحت ان خسارة مودة ثلاثمائة مليون من النفوس ينتمون لدولتنا ويعترفون بها وحدها انها تمثل النيابة عن النبى الكريم لهى خسارة لا توازيها خسارة ، سيما وإنا قد اتخذنا ميل تلك الملائيين من النفوس قوة أدبية أمام اضطهادات العالم الاوروباوى لنا · على اننى لا أخفى عليك أننى أظن بل اعتقد ان منح الامة دستورا قد يعود على فى يوم من الايام بالوبال والسحت وربما أنزلنى يا أحمد من هذا العرش بغاية السهولة فأصبح سجينا فى سراية جرغان أناجى أخى مراد ويناجينى ·

(مدحت) لا ! لا يا مولاى ! دع عنك هذه الهواجس والخطرات ليس شىء من ذلك يكون فجلالتكم على علم تام بان القانون الاساسى يضمن لكم كمال النفوذ فاذا تأملتم قليلا يا مولاى فى فصوله تجدون ولا ريب أن تولية الصدر بأيديكم ، وكذلك وزيرى الحربية والبحرية · وتلك هى مصادر قوة الدولة ومظاهر سلطانها · وعلاوة على ذلك فانه يخولكم وحدكم ان تطردوا من الممالك المحروسة من ترونه مضرا بالمصلحة العامة او مكدرا للراحة ·

(السلطان) لا حول ولا قوة إلا بالله أتريد يا مدحت أن تقنعنى أن إعلان

القانون الأساسى مفيد ؟ كلا ثم كلا ! ولكننى فاعل مع علمى بالعواقب الوخيمة التى تنجم عن ذلك ·

(مدحت) فاعل يا مولاى إنك والله تاج السلاطين وجوهرة عقده الثمين ·

(السلطان) آه ! ثم آه ! يا أحمد فاعل ولكننى شاعر بالبلايا والرزايا التى ستنتابنى من وراء ذلك وإن نفسى تحدثنى بالويل والثبور والذل بعد العزة والمهانة بعد الرفعة ! واحسرتاه ! واسفاه ! كان شخصا أمامى يمثل لى مستقبلى مظلما ! وإنى سأنزل عن هذا العرش مهانا ثم أغرب إلى أقاصى البلاد واحرم من لذة العيش الرغيد فى هذه البلاد التى كستها الطبيعة جمالها ورواءها ، فأصبحت غانية المشرق بل جنة الدنيا · اللهم رحماك فقد أوسعت على الملوك رزقهم وابتليتهم لتذيقهم مرارة الحياة ونكد الدنيا حتى يشاركوا الفقراء والمعدمين فى الاتراح والاوصاب ، وتتم حكمة عدلك آه ! وامصيبتاه !

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة تجهلنى كيف اطمأنت بى الحال
فأذهل أنى فى بلادى على شفا رزى الأمانى لا أنيس ولا مال
فيا وطنى إن فاتنى منك فائت من العيش فلينعم لساكنك البال

(مدحت) رفقا يا مولاى ! فان الهواجس قد استولت على جلالتكم وأثرت عليكم أسوأ تأثير فتركتكم تجعلون المستحيل واجبا ، والمعدوم موجودا · وإلا فكيف يمر بالاذهان أن سلطانا ذكيا مثل جلالتكم يروم بهمة عالية احياء سنة من سنن الاسلام واشادة دولة دستورية على أطلال حكومة مطلقة أخنى عليها الدهر وتمكنت الآلام من احشائها ؟ ثم يتوخى من وراء خدمة الأوطان ونشر لواء العدالة والأمان وبالا غير محدود ونكالا ليس معهودا ؟

(السلطان) رويدك يا مدحت فان الشاعر العربى يقول :

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

وحذار أن تحتقر صغائر الأمور فان غايتها ان تكون كبائر
(إذا لم يسالمك الزمان فحارب)
وجاهد ولا تخش ضروب المتاعب
ودع عنك الفاظ الصداقة واحترز
(وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب)
(ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما)
حقير أتت منه جسام المصائب
وإن رمت إثبات الدليل فطالما
(تموت الافاعى من سموم العقارب)

* * *

الفصل الثانى

يرفع الستار على السلطان معه زوج من الخصيان فيدخل بالاذن جاسوسان وهما فهيم وسليم وكل منهما يقدم تقريرا للسلطان ٠

(فهيم) مولاى ، إن جماعة الأشرار الملقبين بحزب الأحرار ما زالوا يكيدون المكائد لجلالتكم وان كان انله يحرسكم بعينه التى لا تنام علما منه سبحانه ان فى بقائكم عز الدولة ومجد الاسلام٠ وبناء على ذلك فقد أوحى إلى منذ عشرة أيام أنه توجد فى العاصمة مؤامرة من أولئك الخونة القصد منها الاعتداء على شخصكم الشريف وقد قضيت هاته الأيام أنا وأعوانى فى الكشف عن هذا الأمر الفظيع ٠ فاستفدنا بعدة إفادات وأن لم نصل للضالة المنشودة ، وإنما غاية ما علمت ان محل المؤامرة قريب من أيا صوفيا وان اعضاء المؤامرة يلبسون القبعات عوض الطرابيش ليحملوا الناس على الظن بأنهم من تابعية إحدى الدول الأوروباوية ٠ وقد وقعت لى شبهات فى البعض ، إذ كانوا حقيقة أوروباويين ٠ على أن مخبرى نفسه لم يهتد إلى وجه الصواب ٠ فتحاشيت القاء القبض عليهم خوفا من حدوث أزمات سياسية ومشاكل تكدر راحة جلالتكم ٠ وعلى كل حال بثثت العيون والارصاد وراءهم وجئتكم لتأمرونى بما هو الواجب ٠

(السلطان) إنى أشكرك يا فهيم على إخلاصك لسدتى ، وتفانيك فى حبى ٠ وآمرك بالقاء القبض على من شئت ، ولا يهمك أمر الدولة التى ينتسب إليها ٠ فأنا أعرف كيف أتخلص من احتجاجات سفيرها تخلصا يجعله راضيا من الغنيمة بالاياب ٠ ولتعلم يا فهيم إنى أحبك كثيرا ٠ وفى نيتى أن أجعلك فيما بعد رئيس الضابطية ، وربما رقيتك إلى مسند الصدارة٠ ولكن أوصيك أن لا تذيع هذا السر لأحد ، ولا سيما الصدر ، فانه يحسدك ، ويسعى فى ابعادك عن بلاطى ٠ وقد جعلت لك جزاء عن عملك الشريف الدال على إخلاصك وعبوديتك ، وهو ألف ليرة سيدفعهالك مدير الخزينة الخاصة ٠ وإذا اتممت المأمورية على وفق المرام فانى أجازيك بانعامات جمة وأوسمة عالية تجعلك فى مصاف رجال الامناء ٠

(بعد هذا يدخل سليم)

(سليم) مولاى قد تظن ان تأخرى عن تقديم التقارير فى بحر العشرين يوما المنسلخة ناشىء عن تقصيرى وقلة إهتمامى بخدمة أقدام جلالتكم٠ والحقيقة انى قضيت تلك الأوقات فى الكشف عن أمر هام جدا ، وسر غامض للغاية : وهو ان جماعة من الأشرار قد قاموا بعمل رذيل سافل يرومون من ورائه مس ذاتكم الشريفة والتعدى على شخصكم بوضع مادة الديناميت فى ممر جلالتكم بين القصر وجامع تكية ظافر ٠

(السلطان) ماذا تقول يا سليم الديناميت ؟ إنه والله لأمر فظيع ! يريدون ان يقتلوني قبحهم الله • فان نجاني الله من شرهم اقتلهم جميعا ، وأنسى في تعذيبهم كل شفقة ورحمة ! زدني أيها العبد الأمين •

(سليم) نعم يا مولاي ! يريدون أن تمس ذاتكم لا سمح الله • ولكن ولله الحمد ، لم يفلحوا • والله لا يصلح كيد الخائنين على ان جلالتكم تستطيع ان تترك الصلاة في الجامع المذكور ريثما نقبض على هؤلاء الابالسة الاشرار أخفق الله سعيهم • أما بحثي ، فانه وقف عند حد أن محل هذه العصابة الباغية في بايغلي ، وانهم إلى الآن لم يستحضروا الديناميت • وقد سافر ثلاثة منهم إلى ثغر إزمير حيث مستودع هذه المادة الجهنمية ، والباقون لم يجتمعوا في المحل من حين سافر رفاقهم • وعليه أطلب من الأعتاب ان يصدر الأمر السلطاني في مراقبة الأرصفة ، وانتباه مأموري الكمارك ، وان يتضاعف عدد أعواني •

(السلطان) سيكون ذلك كما ستعزز أعوان فهيم • ولا حاجة لي إلى شكرك ، وإظهار مالك من الاخلاص نحو ذاتي المقدسة • فذلك أمر مشهور ومعلوم • وقد وهبتك خمسة آلاف ليرة جائزة عن عملك المشكور وسعيك المبرور ستقبضها في أقرب وقت • ومتى ظفرنا بأعدائنا أكافئك فوق ما تتصور • وربما رقيتك في القريب إلى منصب سام ، وقد يكون وزارة الداخلية التي أرى انك أهل لها لوقوفك على أسرار داخلية البلاد • وإياك ان يصل هذا النبأ للناظر الحالي • فانه يبغضك كثيرا يا سليم • وطالما وشى بك إلى • وأنا اتصامم على سماع مفترياته •

(بعد خروج فهيم وسليم يدخل على السلطان أبو الهدى والشيخ أحمد) •

(السلطان) إنني والله منقبض الصدر محزون الفؤاد من هؤلاء الأحرار ، وفي الحقيقة الأشرار ، ولمظاهراتهم بالعداء ضدي ، وتشهيرهم بي بتلفيق الأكاذيب ، ونشر الاضاليل في عاصمة الجمهورية الفرنسوية لتحريك سواكن الشعب الفرنسوي ، والتأثير على الفكر العام الاوروباوي • ولقد قبلت نصائحكم وإشارتكم في مطاردتهم بالبلاد العثمانية • ولكن لم أترو قليلا في الأمر • ولو أمعنت النظر لما اكتفيت بآرائكم من أن إبعادهم عن التراب العثماني كاف لاطفاء جذوة حركاتهم المتقوتة • ولو عملت برأي لأبدتهم عن آخرهم واسترحت راحة أبدية • ولكن سبق السيف العذل ؛ ونفذ سهم القضاء • ومع ذلك ، فلا ينفعني إلا الصبر والجلد واستعمال الحيل والثبات والاعتماد على النفس

أقل نوائب الأيام وحدي	إذا جمعت كتائبها احتشادا
واخدع فتية لم تحترمني	إلى ان اجتني منها المرادا
فان نفرت بذلت لها النضار	وإن عطفت فرشت لها القتادا
إلى ان ترجع عن كل غي	وتخضع لي وتطرح العنادا

آه ما اشقى السلطان وما اشد عنائه ! طيب الله مرقدكم يا جدودى ! فقد عشتم سعداء تعملون بحرية ولا ينقم عليكم أحد • أما أنا فقد قيض الله لى زنابير إن اقتربوا لسعوا ، وإن ابتعدوا شوشوا • ولكن لا بد من العمل !

(وعلى الاثر يدق السلطان الجرس فيدخل عليه باش كاتب ويؤدى المراسم)

(باش كاتب) ماذا تروم جلالة مولاى أطال الله بقاءها ؟

(السلطان) ارسل فى هذا الوقت تلغرافا إلى سفيرى بباريس مضمونه أن يذهب فورا إلى وزير خارجية فرنسا باسمنا ،ويطلب منه بالحاح طرد جماعة تركيا الفتاة ، وعلى الخصوص أحمد مراد • وقل له ان يعده فى مقابل هذا الجميل بأنى أتساهل مع دولته فى مسألة تقرير نفوذها بالشرق ، والاعتراف لها من جديد بحماية كاتوليك السلطنة العثمانية •

(باش كاتب) سمعا وطاعة يا مولاى !

(السلطان) ما العمل يا أبا الهدى إذا لم يقترن هذا السعى بالنجاح ؟

(أبو الهدى) إذا لم يوافق ناظر خارجية فرانسا على التماس جلالتكم ، فان هناك وسيلة أخرى ربما تكون أقرب للنجاح وادعى لراحة جلالتكم من هؤلاء الطغاة الذين اتخذوا الاتجار بالوطنية صناعة لهم •

(السلطان) وما هى ؟ قل وأوجز !

(أبو الهدى) هى ان تستهوى ذينك الزعيمين أحمد ومراد بالمال ، وتعدهما بالمناصب العالية والرتب والالقاب •

(السلطان) صوابا قلت يا أبا الهدى • انك والحق يقال مفرج الازمات ومزيح المدلهمات •

(ثم يدخل على السلطان باش كاتب)

(باش كاتب) سيدى ومولاى قد ورد على تلغراف من طرف سفير سلطنتكم • وها هو •

(السلطان) اقرأه بدون إمهال •

(باش كاتب) سيدى صاحب الجلالة والبطش ، قد قام هذا العبد الأمين بما أمرتمونى به بمجرد وصول تلغراف جلالتكم إلى • وقد لبثت مع ناظر خارجية دولة الجمهورية نحو نصف ساعة ، وبعد أن عرضت عليه مقصدكم الشريف وبينت له مراد جلالتكم اعتذرلى وامتنع من الموافقة على اقتراحكم • وهذا ما صرح لى به : إنى أتأسف يا حضرة السفير لعدم إمكانى قبول ملتمس جلالة السلطان صديق دولتى أصالة عن نفسى ، ونيابة عن الشعب

الفرنساوى . وأصرح لكم بصفة ودادية بأنى لا أقدر أن أفاتح أحدا من كبار رجالنا برغبة مولاكم . ونيكن فى علمكم بان هذه البلاد التى امتزج ترابها بدم أونئك الأبطال الذين جاهدوا حق الجهاد فى تحريرها، ورفع نير الاستعباد عنها يستحيل فيها مصادرة طلاب الحرية ، ومعاكسة ذوى المبادى الوطنية .

أما نفوذ فرانسا بالشرق . فمع شكرى لجلالة السلطان فهو أمر قد تقرر منذ أحقاب ، ولم يختلف فيه اثنان .

(السلطان) هكذا قال ؟ فاذن ما العمل ؟ ويلاه قد أصبح أحمد وحزبه الشرير من الناس الذين تحترمهم الحكومات الكبار . ولكن قد التجأت إلى رأيك يا أبا الهدى ، فهو رأى سديد . ارسل أيها الباش كاتب تلغرافا الى سفيرى بباريس ، وحول له تلغرافيا على حساب الخزينة الخاصة ثلاثين ألف ليرة . ومره على لسانى أن يستميل أحمد ومراد بالمال ، فيعرض على الأول عشرين الف ويعده بأرفع منصب بعد الصدارة ؛ ويعرض على الثانى عشرة آلاف ويعده برئاسة مجلس الرسومات بشرط ان يرجعا عن فكرهما ويتوبا من ذنبهما . وفى مقابلة ذلك أعفو عنهما فيرجعان إلى الاستانة تحت كنف عنايتى ورعايتى السلطانية .

(باش كاتب) سمعا وطاعة لك يا مولاى وشكرا على برك ورفقك برعاياك المتهوسين .

(بعد ذلك يخرج)

(السلطان) قد أخذنا رأى أبى الهدى ، وهو مفيد جدا ورشيق فى بابه . وأنت ما رأيك يا شيخ أحمد لو لم تنجح هذه المساعى وامتنعا من الرجوع ؟

(الشيخ أحمد) أرى يا مولاى إن وقع ونزل أن أفضل مسلكا يجب اتخاذه هو ان نكتب جلبا لأحمد بواسطة الطلاسم وسر الحرف ، فيطير قلبه شوقا إلى الاستانة ، ويرجع إليها مكرها أما مراد ، فانى أظن بل أعتقد إنه يقتنع بملحوظات سفير جلالتكم ويعود للعاصمة فى أقرب وقت سيما وهو رجل من ايننى بوجه آخر أفيد من هذا .

(السلطان) هذا جواب غير مفيد يا شيخ لأن تأثير الطلاسم وسر الحرف لا يظهران فى مدة وجيزة ، وأنا أرجو المسارعة كى لا يتسع الخرق على الراقع . آتنى بوجه آخر أفيد من هذا .

(عند ذلك يسعل الشيخ كثيرا وفى تلك الأثناء يأتى تلغراف من سفير باريس)

(باش كاتب) سيدى ما قد جاء تلغراف من سفير جلالتكم بالعاصمة الفرنسوية .

(السلطان) املـه على بمـزيد السـرعة ، فان قلبي يكـاد يختـرق من هـذه المجريات التي اقلقت بالي وكدرت راحتي ٠

(الباش كاتب) سيدي ومولاي صاحب الجـلالة والسمـو ، قد بـذلت كل ما في وسعي من الخداع والدهاء والحيل في التاثير على أحمـد ومـراد ٠ فخدعت الثاني حتى قبل بمرغوباتكم ٠ وقد استلم العشرة آلاف ليرة ، وسافر على رتل الشرق السريع قاصدا الآستانة ٠ أما الأول وهـو أحمد فقد هزأ بي كثـيرا ، وسخر مني وقال لي في ملاء من الناس : قل لسيدك السلطان ان يتنازل لي عن عرشه ، ويبعث لي بوسام خندان آل عثمان ، ثم ينتظرني هل أقبل ملتمسه أم لا ٠ يا لكم من مجانين ! أأخون وطني وأرضى بسعادتي والملايين من الامـة تقاسي ألوان العذاب ؟ تبا لي إذا رضيت بذلك وسحقا لي متى أبيع حب الأوطان بالرتب والنياشين ! أتروم أيها السفير المغرور أن أقبل دريهمات مولاك ، وهي مختلسة من جيوب فقراء الأمة وممتصة من دمائهم ٠ وكتب يا مولاي في ذيل التلغراف حاشية وهي هذه :

(السلطان) لا تقرأ ٠ كفـى ! كفـى ! فقد كـدرتني هذه الوقـاحة ٠ وكـان الأولى أن اترك هذا الشاب المجنون وحزبه الملعون يسبحون في ضلالهم ، لا أن أتنازل لهم حتى أخذتهم العزة بالاثم ٠ فحسبهم النكاية وبأس الاضطهاد ٠

(بعد خروج الباش كاتب ، يخاطب السلطان ابا الهدى بقوله)

(السلطان) إني متأثر والله يـا أبـا الهـدى ! افهـل عنـدك من دواء لهـذه الحـالـة المحـزنة ؟

(أبو الهدى) دع عنك يا مولاي عـوامل التـأثر ٠ واتـرك الاهتمـام بهـؤلاء الاطفال ٠ فهـم صبية صغـار لا شان لهم ولا تأثير على شهرتكم الذائعة في أطراف العالم الاسلامي وعلى فرض انهم يحدثون حركة فكرية بين الأتراك ، فكفى مولانا قوته الأدبية بين كافة أفراد الأمة العربية التي هي العنصر الأكبر في المملكة العثمانية ٠ وقد تكفلت لكم وأتكفل من جديد بان الأمـة العـربية معكم ٠ فهي تفديكم بأرواحها وأموالها إذا طرأت أمور لكم لم تكن في الحسبان ، وعليه فليهدأ بال مولانا وليطمئن ! فان الله معكم اينما كنتم وأينما حللتم ٠ ومن كان الله يرعاه آمن مما يخشاه ٠

(على إثر ذلك يدخل الباش كاتب على السلطان)

(الباش كاتب) إن مـراد قد حضـر يـا صـاحب الجـلالة ، وهـو يرجـو من مراحمكـم السنية ان تسمحوا لـه بالمثول بين أيدي جلالتكـم ٠ فهل تأذنون لـه بـذلـك ؟

(السلطان) نعم ٠ دعه يدخل ٠

(مراد) جرمت وأيم الله انني مجرم

ولكن مولاى يرق ويرحم
فمن لاذ بالعرش الحميدى باسط
يديه ينال (كذا) العفو وهو مكرم
فدم يا فريد العصر خير مملكا
روى الحلم عن آل كرام تقدموا

(السلطان) قد عفونا عنك يا مراد . ولكن لا بأس من العتاب إذ هو كما يقال صابون القلوب ما جراك يا ولدى على مخالفتى والمروق من طاعتى .

(مراد) عفوك يا مولاى ! فلا تعاتبنى ؛ فقد كفانى ما قاسيته من وخز الضمير ورجوع نفسى على باللائمة . ولكن ينتظر مولاى سيرتى المستقبلة فهى إن شاء الله تغسل حوبة الماضى .

(السلطان) كيف حال أحمد يا مراد ؟ هل هو فى نعمة والمال متوفر لديه .

(مراد) لا مال لديه ، ولا نعمة . وإنما يملك ذلك القلم الدساس الذى يفترى به على خليفة رسول الله وأعدل ملك على وجه الارض مع بدلة أوروباوية يلبسها عندما يدعوه أحد وزراء فرانسا أو رئيس الجمهورية لمأدبة أو احتفال .

(السلطان) يا للعجب ! أصار أحمد من الناس الذين يجلسون فى مآدب الوزراء والرؤساء ؟

(مراد) نعم يا مولاى ! فهو مكرم مبجل عند الشعب الفرانسوى ورجاله الكبار . وسأقدم لكم تقريرا مسهبا فى شأن أحمد وحزبه أفصل لكم فيه القول تفصيلا . والآن استودعكم الله وأدعو لكم بكل جوارحى بطول الشفاء .

(السلطان) اذهب يا مراد فى أمان الله . وإياك أن تتذكر ماضيك فقد عفوت عنك ، ونسيت سوابقك .

* * *

ـ يتبع ـ

عيون وشفاه

شعر : خالد التومي

رحلة ،، دون دليل ، أو سبيلْ ،،،
أو وداع ،، أو رحيلْ ،،،
أو سفرْ ،
– رحلة في زورق من نَغَمَاتٍ سكريهْ ،،
وعطور عَنْبَرِيَّهْ ،،
فِي كؤوس ، من شفاه الورد تَنْدَى ،،
بِالضِيَــا ،،
بالظِّــلالْ ،،
بحبيبَــات الخَجَــلْ ،،
– رحلة عَبْرَ بُحَيْرَهْ ،،
وَبُحَيْـــرَاهْ ،،
لهُمَا أمْـوَاجُ ضَـوْءٍ عَسَلِيَّـــهْ ،،
نَزَلَ اللَّيْـلُ عَلَى شطّيهِمَا قيدا ،، يـُؤْسِـرْ
فتَـكَسَّـرْ ...
فِيهما رِعْشَةُ ذكرىَ ،، نَاعِمَهْ
عَذْبَة فِي دفء حبّ ،، وَحَـــرَارَهْ ،،
حَمَلَتْ قَلْبِي ،،
عَلَى أجْنِحَة خضراء ،، من ضوءِ ربيعيّ الشُّعَاعْ ،،
نَحْوَ فِرْدَوس صباحيّ البِقَـــاعْ
قَزَحِيّ اللَّـوْنِ ، فلي الشَّذَى ،،
بُلْبُلِيّ النَّغَـــمِ ،،
بُرْتُقَالِيّ الافُـــقْ ،،

رحلة وردية عبر عيون وشفاهْ ،،
– عبر نظرهْ ،،
نهر دفء يَتَرَنَّحْ ،،
بَيْنَ سحر ،، وعُذُوبَـهْ ،،
وَشُعَاعٍ لاَهِثِ الهَمْسَةِ يَمْرَحْ ،،
بَيْنَ أهْدَابٍ طَرُوبَهْ ،،
ضَاعَ فيهَا اللَّيلُ ،، وَانْهَارَ السُّكُونْ ،،
وَتَمطي ،، ظلّ حُلْمٍ عَاطِفِيّ من بَعيدْ ،،،
– وَابْتِسَامَـهْ ،،،
مُسْتَهَامَـهْ ،،
تَتَأرْجَحْ ،،،
فِي خُيُوطٍ من ضِيَا ،،،
قَدْ أضَاعَتْهَا ، نجيمَات صَغِيرَهْ ،،،
فَوْقَ شَطّ مِنْ عَقِيقْ ،،
أرجوَانِيّ المَضِيقْ ،،،
عِنْدَمَا تَغْرِق في لحظةِ سَهْوٍ ،،،
لاَ تُفِيقْ

خ. ت.

1967/5

المدارس العصرية والفكر التونسي الحديث

بقلم : محمد الحبيب عباس

ـ 2 ـ (*)

تبرز الثقافة العصرية التى تعرف اليها المفكرون التونسيون لدى عباقرة الغرب ، وفى المجتمعات الاوروبية الناهضة ـ تبرز ـ اهم مقـوم فى تكوين الفكر التونسى الحديث ، وانعكس احتكاكه بمعالم الثقافة الغربية الحديثـة فى ثلاثـة مظاهـر :

1 ـ تعلـم اللغـات الاجنبية •

2 ـ استقدام البعوث من الاجانب •

وقد سبق الحديث عن هذين المظهرين •

3 ـ اما المظهر الثالث ، فهو انشاء المدارس العصريـة لتعليـم العلـوم الرياضية والطبيعية ، واللغات الاجنبية •

كان للمدارس العصرية تأثيرها العميق فى تطوير التربيـة التونسيـة ، ووسائـل التعليم ، ومواد الدراسة ، وشحذ الاذهان ، وتنبيـه القرائـح ، وتحريك الهمم ، وتجديد الثقافة ، وتطعيم المعرفة بما جد فى ميدان العلـم والاستكشاف • ومن أهمها :

1 ـ مكتب المهندسين :

انشئت هذه المـدرسة سنـة اربعين وثمانمـائة والف (1840) بمثـابة مدرسة لتخريج جيل من المتخصصين فى الفنون الحربيـة على نمط الكليات الحديثة التى عرفتها اوروبا • لذلك كان جل اساتذتها من الاجانب وقد ضـم اليهم الشيخ محمود قابادو (1) لتعليم العربية ومساعدة اطـار التعليـم فى تعريب المؤلفات الاجنبية (2) •

(*) راجع الفكر ـ السنة 13 ـ العدد 6 مارس 1968 •

(1) محمود قابادو (1229 هـ : 1813 م / 1288 هـ : 1881 م) وهـو معـاصر للشيخ رفاعة الطهطاوى المصرى الذى سافر الى اوروبا واطلع على معالم النهضـة فيهـا •

(2) ديوان قابادو ج 2 ص 33 طبعة تونس 1295 هـ : 1878 م •

وجاءت هذه المدرسة حدثا عظيما فى حياة الفكر التونسى اطل منها المتعلم على ابعاد ثقافية جديدة تعرف خلالها على اساليب العلم المستحدثة ووسائل التقدير والبحث من : احصاء ، ورسوم ، واختبارات ، وخرائط .. وفى آثارها المحفوظة بالمتحف الاسلامى بتونس العاصمة وخزينة الحكومة التونسية ما يشهد بالدور الفعال الذى ادته فى دعم النهضة ·

وكان خريجوها الفوج الاول من قادة الاصلاح (3) التقوا على مثل رأيهم الثورى لدى نخبة واعية من خريجى جامع الزيتونة تتلمذوا (4) فى رحابه على الشيخ قابادو نفسه ·

2 ـ المدرسة الصادقية :

اسس هذه المدرسة الوزير المصلح خير الدين باشا سنة 1874 وغرضه توفير حاجة البلاد من المثقفين الاكفاء تخطيطا لمحاولة انقاذ رصينة دائمة تبعد شبح الاحتلال ما امكن ، وتؤخر منموعد حلوله وقد ظهرت فى الافق بوادره المخيفة فى غمرة من القلاقل الداخلية والثورات المحلية والازمات الاقتصادية والتدبير الخارجي المبيت (5) · ارادها لتطوير المعرفة على مناهج تواكب العصر ، وتطعم الثقافة الوطنية بفتوحات الغرب فى المضمار العلمى بواسطة اللغتين الفرنسية والايطالية وبالاضافة الى اللسانين العربى والتركى ، وتؤهل الجيل الصاعد لملاحقة المعرفة فى اوروبا نفسها .. ومد الامة بمخلصيها فى الشدائد ·

جاء فى صفوة الاعتبار للشيخ بيرم :

« .. تعلم العلوم الشرعية التى هى المقصد الاهم لكى يحصل التبصر من علماء الديانة بالعلوم الرياضية ويوفقون بين ما يظهر بحسب بادىء الامر انه مخالف للشرع من بعض العلوم الرياضية .. » (6) ·

(3) امثال عبد الله حسين ، ورستم ، وجمعة القرقنى ، ومحمد بن الحاج عمر انظر اتحاف اهل الزمان ، ج 4 ص 37 ·
« الحركة الادبية والفكرية فى تونس » لمحمد الفاضل ابن عاشور ص 13 وما بعدها طبعة مصر 1956 ·

(4) امثال سالم بو حاجب المتوفى سنة 1339 هـ : 1920 م وهو معاصر للشيخ محمد عبده ومحمد بيرم الخامس المتوفى سنة 1307 هـ : 1889 م ·
ومحمد السنوسى المتوفى سنة 1318 هـ 1900 م ومحمد النخلي (1285 هـ 1868 م 1342 هـ : 1924 م) ·

(5) « اتحاف اهل الزمان » ج 6 ص (104) ·
« صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » ج 2 ص 67 طبعة المطبعة الاعلامية مصر عام 1302 هـ : 1884 م ·

(6) المرجع السابق صحيفة 66 ·

« .. ونتج من ابناء البلاد ما شهد لهم به الوافدون من اصل اوروبا والحاضرون لامتحانهم .. (7) .

وادت المدرسة الصادقية رسالتها البناءة فخرجت افواجا من المثقفين النيرين وما تزال . فجاءوا على النسق الذى ارادهم عليه مؤسسها فيما كان حريصا على توجيههم اليه من مثل ومبادىء اذ كان يختلط بهم لغرسها فيهم ، حتى تشربوا بروحه الوثابة وآرائه النيرة واطمأن على مصير الوطن بمؤهلاتهم ووعيهم ولم يعد يخشى على المدرسة من الفشل ، بعد ما قطعت مرحلة التأسيس (8) .

3 ـ المدرسة التاديبية :

طراز هذه المدرسة مغاير لطراز المدرستين السابقتين ، لانها لم تبرز بتدبير من ابناء البلاد ، ولا بجهود وطنية ، وانما ظهرت بعيد حلول الحماية الفرنسية بتونس (9) .

فى سنة 1884 وبعد اربع سنوات من توقيع معاهدة الحماية (10) فتحت التاديبية ابوابها للمتعلمين بقرار من مدير ادارة العلوم والمعارف الفرنسى لغاية اعداد المؤدبين وتاهيلهم لمهنة التعليم بالمدارس الابتدائية الرسمية ذات اللسانين العربى والفرنسى فكانت النواة الاولى لدار المعلمين ، كان يعطى المنتسبون اليها ، بعد اجتياز مناظرة القبول بتفوق : ثقافة عامة وخبرة تربوية مهنية .

وبرغم الريبة التى قوبلت بها المدرسة من طرف بعض المواطنين ، والاحتراز من فريق اخر ، لقيت بعض الاقبال لدى فئة ثالثة لم تتهيب فى سبيل التحصيل او المنفعة او كليهما معا ما قد يحف بوعاء المناولة من شوائب الظنون ، فخرجت عن مفهوم السواد الاعظم فى مقاطعة « معاهد الكفار حذرا من الوقوع فى حبائل الكفر » .

كانت المدرسة تضم ثلة من شيوخ جامع الزيتونة البارزين اضطلعوا

---

(7) « الحركة الادبية والفكرية فى تونس » تاليف الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور صحيفة 24 .

(8) مفتاح التاريخ تاليف البشير صفر صحيفة 14 طبعة مطبعة النهضة تونس 1928 .

(9) من فصل عن تأسيس التأديبية نشر بجريدة « المشير » العدد 17 السنة الاولى يوم الاحد 1911/4/30 ، وكذلك محاضرة الاستاذ « بروزون » الفرنسى سابقة الذكر .

(10) وقعت المعاهدة فى 12 ماى (ايار) 1881 .

بتدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية فيها بالاضافة الى « معلم مسلم معاون واخر فرنسي خصصت اوقاتها لتلقين تلامذة الاقسام الخمسة ـ المتكونة منها المدرسة ـ مبادىء اللغة الفرنسية ـ قراءة وكتابة ـ وآدابها ، والتاريخ والجغرافيا والحساب » (11) ٠

وفي فصل طويل حرره عن جو المدرسة ، ومتناقضاتها ، ونزعات اساتذتها : احد خريجها المصلح الكبير سالم بن حميدة الاكودي (12) ولاهمية المعلومات التي اشتمل عليها نورد منه ما يلي :

« ٠٠ كان معلمي التونسي (13) شابا في عنفوان شبابه خليعا قد بهرته آيات المدنية الغربية الحديثة بروائها ، مثقفا ملأ وطابه من علوم الغرب على الاخص فاصاب من سعه مداركه ، واتساع معارفه ، وحدة ذهنه ، واتقاد قريحته ، وسمو فكره ، وذلاقة لسانه ، وسحر بيانه ، مرمى جعله في مركز اجتماعي اداري ممتاز ، وبالاخلاص عند رؤسائه واولياء نعمته من الفرنسيين ٠

ومعلمي ابن مؤدب اقراه ابوه القرآن ، وعلمه لغة القرآن ، ثم زاول اللسان العربي والعقيدة الاسلامية على النمط الذي ازاولهما به بين يدي اساتذتي ، فثارت نفسه على ما القي في روعه من ذلك ، ثورة جعلته مغتبطا بما هو فيه من علم حي وحياة نامية ومركز ممتاز ٠

ينفر من قرآنه الذي لم يفهمه ، ويرى في حفظه عن ظاهر قلب ما يضطر الفكر لان يجمد ، والقلب ليتحجر ويزري بموات العربية ، ويرغب عنها لغيرها ، ويحقر ويتسامى عن مبهم ما تناول من العقائد الاسلامية وعن الواثقين بها ٠٠ افر من ثلج دروس الاساتذة المميت ، فاقع في نار هذا المعلم الشاب المحرقة ، وفي نفسي من الثورة على الجمود القاتل ما فيها من الثورة على النار المحرقة ٠٠

كانت مشاكسته لي في كل شيء ، مشاكسة يبعثه اليها ما يجري في عروقه من ماء الحياة ، ونزق الشباب العاتي ، والاعتزاز بالمركز ٠٠ متكرما على بوصف الجمود والبلادة والبلاهة ، وربما وصلت به المشاكسة ، وحاله تلك الى مجاوزة هتك حدود الوقار الواجب له كمعلم ، وانتهاك حرمة الكياسة والاداب ٠٠٠

(11) من فصل المصلح سالم بن حميدة عن نشأته ودراسته بعنوان « التعلم بالحاضرة »مخطوط ٠

(12) سالم بن حميدة (1881 ـ 1961) ترجم له الطيب بن عيسى في كتابه « تحرير المرأة » صحيفة 104 طبعة مطبعة الجمهورية 1962 ، وغيره ٠

(13) وهو : الصادق التلاتلي ثم كان من اساتذة الخلدونية الآتي ذكرها ٠

وكانت نفسي بين الفريقين ـ من معلمي ـ نفس المؤمن في محيط ممتحن تتأمل فيما حولها في عطف ورقة وسكينة ، فترى عن يمينها مرضى قد اثخنت جراحهم ، وتورمت ابدانهم ، وتعفنت اشلاؤهم ، يخوضون فيما سال من اجسامهم من قيح وصديد ، طعامهم الضريع والزقوم ، وشرابهم الدماء الكدرة والحميم ، وكساؤهم الذلة والمهانة ، ووطاؤهم السفل ، وغطاؤهم البلاء المرسل ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم اذان لا يسمعون بها ، وقد اعتادوا سوء حالهم فاستانسوا به ، والفوه حتى صار لهم في البقاء عليه لذة وفي الاستكانة الى آلامه حياة ٠٠ وترى عن شمالها مردة من الجن نفخت فيها نار الجحيم روحا ، فتطايرت وزاغت ابصارها وبصائرها ، واضطربت امزجتها ، فجنت ، وما يدريك ما ياتيه مارد الجن اذا جن ! فما هو الا الاعصار والنار ، وما هو الا العجاج والغبار ، وما هو الا البرق الخلب يحاول ن يمثل لك بريقه انه العذب الزلال ، صحو النهار ، وما هو الا الرمضاء المحرقة ، والسراب البقيعة ٠٠

بين هؤلاء وهؤلاء نفس بريئة تتطلب الهدى والحقيقة لتطمئن اليها بعد النظر والبحث والاقتناع ٠٠ وتنشد من تتوسم فيه بقية رمق من الحياة بين الاموات والموبوئين ان يعينها على النجاة من الخطر المحدق بها ، واستئلاف من جنوا ببوارق المدنية الخلابة فتأبى الانانية والخمول وخشية الناس في الله ان تدعهم يحسنون ويعون ويتدبرون فيلبون ، وهرعت الى من به مسكة عقل من المتمردين على من ترديا في زمهرير التقليد والجمود علهم ان يمدوا اليها ايديهم لانتشال النائمين المقصرين ممن قعد بهم الى الارض فدسوا انفسهم في اعماق قبور الموتى يلتمسون العيش في رفاتهم ، ويتخذون مما بقي من جرائيم جنائزهم الفتاكة دواء فيضاعفون عللهم من حيث يعتقدون انهم يحسنون صنعا ٠٠

نفس طهرتها الخطوب وصقلها الضرر والضرار ، فجرت من مسقط رايها الى معمل المدرسة ٠ لكن وجدت نفسها في جحيم من ضر وضرار انكى ، شن عليها غاراته انصار التقليد ، ودعاة الاجتهاد ، وعباد القديم وعباد الجديد ٠٠ » (14) ٠

4 ـ المدرسة العلوية :

اسست المدرسة العلوية بتدبير من دولة الحماية ـ ايضا ـ في نفس السنة التي ظهرت فيها « التأديبية بثلاثة فوارق » :

1 ـ بالاضافة الى ما تقوم به العلوية في تكوين اطارى المعلمين والاساتذة فقد اريدت ـ ايضا ـ لتربص مديري المدارس العربية الفرنسية الذين كانوا من الفرنسيين فقط ٠

(14) من مذكرات المصلح سالم بن حميدة ٠ مخطوط ٠

2 ـ تشتمل برامج الدراسة فيها على تعليم صناعى وزراعى وتجارى ٠

3 ـ احدثت فيها سنة 1889 اقسام للعمل والتمرن على الصناعات يتلقى فيها الطلاب : التصوير ، والتخريم ، ورسم الصور بالقوالب ، وتركيب الآلات الميكانيكية ، والتجليد ، وغيرها ٠

وبنوعى الدراسة الاخيرين اكتسبت هذه المدرسة اهميتها فى حياة الفكر التونسى الحديث اعتبارا للوجهتين العلمية والصناعية اللتين غدتا لها فى فصولها بعد ان درست مدرسة المهندسين الاولى ٠

وكان الاقبال عليها فى تزايد حتى تجاوز عدد تلاميذها سنة 1911 خمسمائة تلميذ (15) ٠

5 المدرسة الخلدونية :

تسمية المدرسة ليست الا مظهرا من مظاهر استمرار نزعة ابن خلدون فى الفكر التونسى ، فجاءت مشروعا وطنيا حرا لا صلة له بالدوائر الحكومية الرسمية ، انشاها سنة 1897 رجال الاصلاح من التونسيين الاحرار لتكمل ثقافة طلاب جامع الزيتونة فى المواد التى لا تشتمل عليها مناهج دراستهم انذاك ، مثل : التاريخ ، والجغرافيا ، والعلوم الطبيعية ، والرياضية ، ورسم الاراضى ، والاقتصاد ، واللغة الفرنسية (16) ٠

« ٠٠ وقام البشير صفر (17) بدروس التاريخ والجغرافيا فرفع قيمتها بفصاحته وقوة بيانه واقدامه على شرح الحقائق الاستعمارية ، وكشف الحجب

---

(15) محاضرة م ٠ بروزون آنفة الذكر ٠

(16) الحركة الادبية والفكرية فى تونس لابن عاشور صحيفة 55 ٠
انظر كتاب « تحرير المرأة » للطيب بن عيسى صحيفة 149 فهو احد تلامذتها ٠
انظر كتاب « مفتاح التاريخ » للبشير صفر صحيفة 16 ٠
انظر كتاب الاقتصاد السياسى للطاهر صفر احد اساتذة المدرسة فى هذه المادة صحيفة (5) ٠

(17) البشير صفر (1863 ـ 1917) خريج الصادقية ومدرسة (سان لوى) العالية فى الهندسة كان شديد التعلق بالوزير خير الدين قوى التأثير فى الشباب التونسى انظر الحركة الادبية والفكرية لابن عاشور صحيفة 47 وما بعدها ٠ ومفتاح التاريخ للبشير صفر صحيفة 16 ٠

عن الاخطار المحدقة بالعالم الاسلامى ، حتى صارت دروسه معهـدا تتلقى فيه التوجيهات القومية قبل التوجيهات العلمية ، فصارت زعامة البشير صفر على شبـان ذاك الجيل لا تزاحم ، ومنزلته منه منزلة خير الدين من الجيل الماضى ٠ وهو رجل الساعة ، وحامى الحمى ، وزعيم النهضة كما تلقبه الصحف اذ ذاك او « ابو النهضة الثانى » اى بالنسبة الى خير الديـن ٠٠ « (18) وكتابـه » « مفتاح التاريخ » الذى جمع فيه بعض محاضراته ، يشهـد بعمـق النظـرة التى كان يصدر عنها فى تدريس مادة التاريـخ واهميتها فى تكويـن الفكـر الحر ، كما ان اختياره لتاريخ بعض الدول الاوروبية ، ولفتـرات معينـة من نهضتها وثوراتها ينبىء بوضـوح عن خطة الرجـل فى تهيئة الجيـل للثورة والتطـور ٠

ـ يتبـع ـ

م٠ ح٠ ع٠

(18) الحركة الادبية والفكرية لابن عاشور ـ ص 55 ٠

الى واحدة عادت

شعر : جمال الدين حمدى

كُنْتُ إذْ أشْرَبُ أيَّامِيَ كأسِي ... أحِسُّ الْحُبَّ فِي حلْقِي مرَارهْ
وَوُجُودِي مُطْفأً ، يشْوِي بهِ الصَّمْت ... لِماذا اللهُ بِالْحُبِّ أنارَهْ؟
أنا قَدْ أقْبرْتُ حُبِّي في ضُلُوعِي...أنا قدْ أغْرَقْتُ فِي ليْلِي نهارَهْ
فلقدْ كُنْتُ مُحِيطاً مِنْ قَدِيمٍ لعنتْ بحَارَةُ الدُّنْيا قرارَهْ

وعلى شطآنه الصَّخْرِيَةُ الْخرْسآء ... أكْوامُ عِظَامٍ وَجماجِمْ ...
... وبقايا سُفُنٍ فِيها شكى الشَّيْطانُ للتَّارِيخِ حُوَّاءَ وَآدَمْ ...
كمْ هوَى نَجمْ بِها...كمْ ماتَ قلْب... كمْ أقامَ اللَّيْلُ فِيها مِنْ مآتِمْ
إسْئلِي الماضِي .. وَلا ..لاَ تسألِينى ... فجوابى أسْوَدُ الألْفاظِ..قاتِمْ

اسئلِي الماضِي ... أنا يا رَخْوَةَ الأشْوَاق ، آفاق بِها لاَ شتْك رِيحُ
وبِها أجْفانُكِ الْحمْرَاء ... يا مكْسُورَةَ الأهْدَاب... ما زَالتْ تنُوحُ
اسئَلِي الْماضِي.. فقدْ يُنبِيك ...قدْ يُنبِيك عن أسرارِ عُمْرِي...قدْ يبُوحُ
اسْئلِي الْماضِي ... أنا يا أنْتِ ...ملْعُونٌ بكى الرَّحْمةَ فى قلبِي المسيحُ

إسْئَلِي الْماضِي ..فقدْ يُنْبِيكِ أنَّ الْقلْبَ قدْ وَدَّعنِي مُنْذُ الْتقيْنا
ومضى إذ كُنْتِ(شيئاً)فِي دُرُوبى...واخْتفى قلْبِي،اخْتفى...لمْ أدْرِ أيْنَ
تارِكاً بيْن الْحنايا ذِكْرَيات ... خافِتات الصَّوْتِ والأضْواءِ ... وسْنى
ذِكْرِيات جعلتْ مِنْكِ شِفاهاً حوَّلتَ عيْنِيَّ يا رَقطْاءُ دِنَّا ...

شرِبتْ ،كمْ شرِبتْ...حتَّى لقدْجفَّتْ دُمُوعِي مِنْ عُيُونى الْمُتعباتِ
فأنا لا حُبَّ لِي الآنَ ... لقدْ درَّعْتُ يارَقْطاءُ بالنِّسْيانِ ذَاتِي ...
ولقدْ قدَّسْتُ عنْ ذِكْراكِ عُمْرِي . . ولقدْ قدَّسْتُ حتَّى كلماتِي
فاعلِمِي إنَّا انْتهيْنا ... إنْتهيْنا ... أنْتِ لاَ تدْرِين أسْرار حياتِي .

ج. ح.

ندوة القراء

حول تيسير الطباعة العربية

بقلم : محمد مزغيش

قرأت في العدد 6 لشهر مارس 1968 من مجلة الفكر الغراء دراسة للاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحريرها ترمي الى احداث تطوير في احرف الطباعة العربية يكفل قراءة ما يطبع قراءة صحيحة من المطالعين في كل المستويات دون اضطرار لتذكر القواعد الصرفية والنحوية ·

والموضوع يستهوي كل من يغار على اللغة العربية ويسعى لنشرها بين الناس من اقرب السبل فقد وقف تطور حروفها منذ قرون حتى اصبحت لا تساير حركة النشر المعتمدة بالخصوص على سرعة الطبع باختصار عدد الاحرف والاشكال الامر الذي يسمح بالقراءة الصحيحة دون حاجة للتضلع في دقائق قواعد اللغة ·

والواقع انه طالما لم يوجد حل يوحد احرف الطباعة ويحقق الشكل فان الكثير ممن يحذقون لغتين احداهما عربية يفضلون قراءة الكتاب غير العربي وهو امر مؤسف ويحز في النفس اضف الى ذلك ان الاجنبي الذي يحاول تعلم العربية يفشل في اول الرحلة باستثناء من يستهويه الاستشراق فيتخصص فيـه ·

هذا هو الواقع مهما حاولنا طمسه ومهما غالطنا انفسنا · صحيح ان اللغة العربية تطورت لكن في التحرير من وجهة الاسلوب والموضوع واحداث اصطلاحات مشتقة من نفس اللغة · اما استهلاك ما تنتجه الاقلام وما انتجته على الوجه الصحيح فيكاد ينحصر في نخبة معينة فمن كان تعليمهم محدودا لا يستفيدون الا قليلا مما يكتب في الصحف والنشريات ومن عديد التآليف والموسوعات بل لعل الكثير ياخذه الملل لما يجد من عناء في فهم الموضوع بسهولة ولا يثبت في الميدان الا الراسخون في معرفة القواعد ونتيجة كل ذلك جهد ضائع في قسم كبير ممن زاولوا الكتاب او اختلفوا الى المدرسة الابتدائية ولم يواصلوا تعليما أرقى ·

أليس على قارىء الكتابة العربية ان يعول على القرينة في عديد من الالفاظ·

فما معنى « دم » هل هو الامر من دام أو هو السائل الاحمر الذى ينزف عند الجرح وما معنى « تمت » هل هى لفظة تعنى انتهت او تعنى امرا له صلة بآخر وهكذا مع فناء بكسر الفاء وفتحها وكم وكم بفتح الفاء وضمها مع تشديد الميم ولما ولما الخ ...

انك تكتب جملة : « ان فى الدار فتاة » لكنك لا تكون موقنا ان التاء المربوطة ستقرأ بالفتح أو الضم أو الكسر مع التنوين أو حتى بالسكون اذ يتطلب استذكار قاعدة أن إن تنصب الاسم وترفع الخبر وان الاسم قد يتأخر فى حالات خاصة الخ ... كل ذلك على حساب السرعة والاهتمام بالموضوع بالاضافة الى كونه يشق على المثقف العادى فى حين انه فى جل اللغات الاخرى تقرأ الجملة سالمة من الاعوجاج من كل الناس على اختلاف فى المستوى .

فبالفرنسية تقول :	il y a une fille dans la maison
وبالانكليزية	There is a girl in the house
وبالاسبانية	hay una senorita en la casa

ويكفى ان يتعلم اى احد من الناس مخارج الحروف فى بضعة ايام ليقرأ النص صحيحا وهو امر يدل على حيوية تلك اللغات بفضل الاحرف الصوتية voyelles .

ومما زاد الطين بلة ان لغة الكلام عند العربى هى ليست بالضبط لغة الكتابة وصعوبة القراءة فى نظرى هى سبب بقاء لغة التخاطب بعيدة عن النمو فى الاتجاه المستقيم الذى نأمله لها والذى هو عامل وحدة ثقافية للعالم العربى كما نرى اللغة الاسبانية لاميركا اللاطينية واسبانيا والانكليزية للولايات المتحدة وكندا واستراليا الخ .. والفرنسية لبلجيكا وفرنسا وسويسرا الخ ...

فنظرية الاستاذ بن سلامة طريفة وفيها تطور اذ لا ترمى الى التنقيص من عدد اشكال الطبع للأحرف الهجائية وغيرها فحسب بل تضمن القراءة الصحيحة بفضل اقحام الشكل بالرابط وهى شىء جديد بالنسبة لبعض النظريات السابقة .

لكن يبقى دائما ان الحرف العربى المطبوع له اكثر من صورة فالحاء هى حسب نظرية الاستاذ بن سلامة حـ و ح والعين هى عـ ـع و ع الخ ...

فلو اننا فكرنا فى اختصار كل ذلك بجعل صورة واحدة لكل حرف مطبوع لا تتغير مهما كان الموقع لاصبح عدد الحروف 30 بدل 58 وبالتالى تكون جملة الاشكال 63 لا 92 بعد اعتبار الحركات والروابط وادوات الوقف والشدة والاستغناء عن التعريقة .

وليست هذه الفكرة من عندياتى ، فقد استنبط المهندس الاستاذ نصرى خطار اللبنانى الاصل المتخرج من جامعة بيروت الاميركية ومن جامعة « ييل » بالولايات المتحدة صورا للاحرف العربية لا تتبـدل ابـدا الا حجمـا كما فى الاحرف اللاطينية مع الحفاظ على شكلها القديم تقريبا • لكن عيب الطريقة انها لم تراع الشكل الذى يكفل القراءة الصحيحة من أول وهلة فى حين ان طريقة الاستاذ بن سلامة تقضى على المشكلتين :

- عسر قراءة غير المشكول •

- اختصار الاحرف **جزئيا**

وقد عثرت على طريقة الاستاذ نصرى خطار التى سماها **بالابجدية العربية الموحدة** بنشرية « صوت اميركا » بعدد سبتمبر - اكتوبر 1951 ولا اعلم ماذا كان مصير مشروعه الذى تحمس آنذاك لتحقيقه واشاعته •

وتعميما للفائدة انقل عن النشرية المشار اليها قـوالب ابجـدية الاستاذ خطار التى هى قابلة لأن تكون - حسب - قوله - ذات احجام مختلفة اصغرها نمط 8 •

فالكلمات الست الآتية تتكون من ثلاثة حروف هى العيـن والـراء والغيـن وشكلها بالحروف الموحدة لا يتبدل ايا كان موقعها من الكلمة بينما تحتاج الى 11 شكلا بالحروف العادية عوض الستة :

طريقة نصرى خطار	الطريقة العادية
عرف	عرف
عفر	عفر
رفع	رفع
رعف	رعف
فرع	فرع
فعر	فعر

وكان بودى أن أتصور تطبيقا لطريقة الاستاذ بن سلامة غير أنى لم أتوصل الى ذلك بمحاولتى الشخصية • رغم أن الطريقة على ما يظهر من الناحية النظرية والتطبيقية ممكنة جدا (*) •

واظن ان الفكر الخلاق غير عاجز عن تحقيق هذا المشروع بعد تبسيطه وتحقيق رونقه فقد كان اللسان العربى فى ذروة المجد نطقا وخطا عندما كانت اللغة الآرية فى فقر مدقع وساير التطور اذ تدرج الخط من احرف بلا نقط الى احرف بالنقط الى احرف مشكولة ولكن الكتابة المطبوعة لم تواكب التطور والحال ان الطباعة ولدت منذ نحو قرون •

وبارك الله فى الاستاذ بن سلامة لاثارة قضية كهذه يعد حلها فتحا لآفاق جديدة لعشرات الآلاف من العرب وعامل اشاعة للمعرفة لا حدود لجدواه ، بقى ان تتظافر الجهود بالمغرب العربى او على الاقل بالجمهورية التونسية الفتية لاخذ القضية بعين الاعتبار وتشجيع من يعنى بابراز هذا المشروع او ما هو احسن منه للوجود فنيا وما ذلك على همة الدولة التونسية بعزيز وهى قد اقتحمت ميادين اعتيد الحذر من ولوجها كالرزنامة الهجرية والارقام العربية التى نعجب لتمسك سوانا بغيرها فى حين انها بضاعتنا ردت الينا •

اما الطريقة الحالية فهى اقرب للاختزال منها للكتابة الواضحة •

م• م•

(*) تعليق : لا يسعنى إلا أن أشكر الأستاذ محمد مزغيش على عنايته بما كتبته فى عدد مارس حول تيسير الطباعة العربية وتحليله للموضوع تحليلا وافيا مستوفيا • وأشكره كذلك على ما نبهنى اليه من وجود محاولة أخرى (الابجدية الموحدة) للمهندس نصرى خطار • وقد سلمنى مشكورا المجلة التى ورد فيها بسط هذه الطريقة الجديدة (صوت أمريكا – سبتمبر – أكتوبر 1951) • كما أن من الأصدقاء من دلنى الى مجلة عالم التجارة الصادرة فى لبنان (فيفرى – مارس 1968) والتى تحتوى على وصف مدقق للأبجدية الموحدة •

وقد أمعنت النظر فى هذه الطريقة ووجدت حروفها جميلة جدا متناسقة قريبة من الخطوط العربية سهلة القراءة بالتعود طبعا غير أننى لاحظت فيها مآخذ أهمها :

أولا : لقد مر على بروز هذه الطريقة ما يقرب من عشرين سنة قام فيها المهندس نصرى خطار بدعاية كبيرة لأجل مشروعه ولكنه لم يصل الى فرضه على المطابع ودور النشر • لا لشىء إلا لأن القراء العرب لا يريدون بديلا بخطوطهم إذ أن إدخال نوع آخر من الخط فى الطباعة العربية يقتضى حملة نفسية كبيرة وفرضا من الحكومات وهذا ما لم يقع •

ثانيا : إن تصميم حروف « الأبجدية الموحدة » وقع تركيزه على خلو الحروف من الحركات ٠ وهذا نقص فادح ٠ وفيما إذا وقع تدارك ذلك وزيدت الحركات فان المسافة بين الحرف والحرف ستكبر فينتج عن ذلك أمران :

أ ـ استهلاك أكبر فى الورق وهو ما أراد تلافيه صاحب المشروع ٠

ب ـ اختلال فى جمال الخط فتظهر عند ذلك الحروف مبعثرة لا انسجام بينها٠

لهذا فانى أعتقد أن الأبجدية الموحدة لا تفى بالحاجة فى ميدان تيسير الطباعة العربية وانتشار اللغة العربية بين جميع المستويات بثمن زهيد ٠

هذا فيما يخص طريقة الأبجدية الموحدة أما فيما يتعلق بالأمر الثانى الذى نبهنى اليه الاستاذ «زغيش وهو أننى لم أورد فى مقالى تطبيقا لطريقتى فهو حـق ٠ والسبب فى ذلك أن الكتابة التى ستنتج عن تطبيق هذه الطريقة هى كتابة عادية ٠ فالحروف التى وضعتها فى الجدول هى من النسخى المحرف شيئا ما ٠ ولهذا فان القارىء لن يجد تغييرا فى النصوص التى توضع بين يـديه وهى مطبوعة حسب هذه الطريقة ٠

والسبب فى ذلك هو أننى وجهت عنايتى أولا وبالذات الى الرابط الذى يربط بين الحروف وأخضعتأصل الحرف ـ وهو مبتور ـ الى ما يفرضه شكـل هذا الرابط٠فرأيت أنه من الممكن ايجاد رابط موحد لجميع الحروف مع تغيير طفيف فى أصل الحرف لا تكاد عين القارىء تفطن اليه ٠ وبهذا توصلت الى اختصـار الحروف مع الابقاء على جمال الخط العربى والاحتفاظ برونقه والتمسك بالحركات٠

بهذا فان أنواع الخطوط التى ستنجر عن تطبيق هذا المبدأ الذى أقررته كثيرة تتعلق خاصة بذوق الخطاط وقدرته على اخضاع الحروف لا الى الطريقة القديمة التى تعتمد خط اليد بل الى ما يقتضيه الحرف المطبعى ٠

ولقد سررت عندما اهتم الاستاذ الحبيب بن عيـاد الخطـاط المعروف بهذه الطريقة وحاول تطبيـق المبـدأ الذى أقـررته بضبط حـروف رسمهـا فى الجدول الآتى :



جدول الحروف حسب طريقة الكتابة النموذجية

وهذا مثال من الكتابة المنجرة عن هذه الحروف :

الكِتابَة النَموذجيّة (*)

ولقد سميت هذه الطريقة « الكتابة النموذجية » وهو تعريب لكلمة Typographie المشتقة من Typo بمعنى نموذج و graphie كتابة وذلك اعتقادا مني أن هذه الطريقة ستمكن الكثير من الخطاطين والتقنيين الى استنباط

(*) حاولت أن أؤلف هاتين الكلمتين من الحروف الموجودة بالجدول فرصفتها بعد عزلها الواحدة بحذاء الاخرى كما لو أن آلة كاتبة رصفتها ٠ وبطبيعة الحال فان عملا مثل هذا يحتاج الى دقة كبيرة ومهارة من العامل قريبة من العمل الفني البحت ٠ ولهذا فان الحركات عند تصويرها لم تظهر واضحة لضآلتها فاضطررت الى ابرازها باليد فأتت مشوهة نوعا ما ٠ والمهم هو أن هذه الاحرف قابلة لان تكون مقحمة في آلة ٠

أنواع من الخطوط خاضعة حقيقة الى مقتضيات صناعة الطباعة ومنبثقة من هذه الطريقة وهذه دعوة الى الخطاطين في تونس وغيرها من البلاد العربية الى التحمس لهذا المشروع واستنباط حروف أخرى غير التي استنبطها الاستاذ الحبيب بن عياد حتى يتمكن كل شعب من الشعوب العربية الى ان تكون له حروف طباعة متماشية مع ذوقه وأصالته كما كان الامر بالنسبة للخطوط من قبل وحتى تدخل الكتابة العربية الى عصر الطباعة شأنها شأن الكتابات الحية الاخرى .

وأخيرا أجدد شكري للاستاذين محمد مزغيش والحبيب بن عياد على عنايتهما وتحمسهما للمشروع .

البشير بن سلامة

في سبيل تيسير الطباعة العربية

بقلم : عبد الله أحمدى

لا يخفى على أحد أن الطباعة العربية تعانى عدة صعوبات فنية ناجمة خاصة عن طبيعة الحروف العربية التى تختلف باختلاف موضعها فى الكلمة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الحركات التى تصحب الحروف عادة تزيد المسألة تعقيدا ، واجتنابا لذلك فقد التجأ اصحاب المطابع إلى طباعة النصوص غير المشكولة ولكن هذا لم يحل المشكلة إذ ان عنصرا من عناصر صعوبة الطباعة ما زال قائما وهو اختلاف نوعية الحروف باختلاف موضعها فى الكلمة ثم إن خلو الحروف من الشكل يجعل الاقبال عليها قليلا جدا خاصة من بين المبتدئين اذ يستحيل عليهم قراءة نصوص غير مشكولة . ولقد طرق الأستاذ البشير بن سلامة هذا الموضوع طرقا دقيقا فى مقال له نشر بمجلة الفكر تحت عنوان « فى سبيل تيسير الطباعة العربية » على أن صاحب المقال لم يقتصر على إثارة المشكل وإبراز مختلف جوانبه بل اكتشف الداء ووصف الدواء إذ عرض علينا طريقة جديدة لطباعة النصوص العربية ولقد حاول الأستاذ البشير بن سلامة أن يتلافى كل الأخطاء والعيوب التى تضمنتها طرق أخرى كان قد عرضها بعضهم من قبل . فهل وفق فى هذه الطريقة الجديدة التى استنبطها لتيسير الطباعة العربية ؟ وهل تذلل هذه الطريقة كل الصعوبات التى تخلقها الطباعة العربية ؟

* * *

إن طريقة الأستاذ البشير بن سلامة تعتمد خاصة على الحركة وكذلك الرابط الذى يصل بين الحروف فهو بذلك إجتاز عقبتين رئيسيتين :

اولا ــ إن النصوص ستكون مشكولة شكلا تاما اذ أن الآلة تحتوى على كل الحركات ما عدا السكون الذى اثبته بصفة سلبية أى أن « كل حرف لا يحمل حركة » يعتبر ساكنا وعلى هذا الأساس تصبح فى متناول كل الناس حتى المبتدئين منهم

ثانيا ــ إن هذه الطريقة تعتمد أيضا على الرابط اى السطر الذى يصل بين الحروف ولعل طرافة ودقة الطريقة تبرز فى هذا الاعتماد على الرابط ذلك ان السطر الذى يصل بين الحروف سيلعب دورين : أولهما حمل الحركات

والدور الثانى يتمثل فى اتمـام جزء من اجزاء بعض الحروف وبذلك تمكـن الأستـاذ البشير بن سلامة من اختصار العدد الكبـير من الحروف اذ اصبحت 58 حرفا بعد ان كانت تزيد عن المائة ـ وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن هذه الطريقة تساعد على تذليل أهم الصعوبات التى تعترض المطابع ولكن هذا لا يعنى أنها خالية من العيوب ٠

ولا شك أن الطريقة التى التجأ إليها الاستـاذ البشيـر بن سلامة تعتمد اعتمادا كبيرا على الرابط وهذا الاعتماد ينتج عنه بعض المشاكل ٠

أولا ـ إن وضع الحركات على ذلك الرابط الذى يصل بين الحروف من شأنه أن يكون مدعاة الى الالتباس عند القارىء المبتدىء إذ قد يختلط عليه الأمر ولا يعرف بالضبط إلى أى حرف تنتسب هذه الحركة أو تلك ٠

ثانيا ـ إن جعل جـزء من بعض الحروف موجودا فى الرابط الذى يحمل الحركة من شأنه أن يصيرها مبتورة أو يمس برونقتهـا فتصبح منحرفة ولا يخفى على أحـد أن لهذا الانحراف تأثير سيء بالنسبـة للأحداث والكهـول المبتدئين ويتمثل هذا التأثير فى رداءة خطهم إذ لا شك أنهـم سيتأثرون بما يقرأون من حروف ٠

ثالثا ـ يبدو أنه لا فائدة فى ترك السكون وتعويضه تعويضا سلبيا إذ أنه قد يؤدى ذلك ـ بعد وقت طويل ـ الى أن تصبح هذه الحركة مجهولة بالنسبة للأحـداث خـاصـة ٠

وأخيرا ومهما يكن من أمر فإن العمل الذكى الذى قام به الأستاذ البشير بن سلامة لا يخلو من مزايا ولعل مزاياه تفوق بكثير عيوبه المحدودة والنسبية إذ هى عيوب جزئية يمكن تداركها بسهولة فيكفى أن يقبل أهل الأختصاص على هـذه الطريقة الطريفة ليدخلوا عليهـا بعض التهذيب حتى تصبـح بحق الدواء الناجع لما تشكوه الطباعة العربية من ستأم فتساهم بذلك فى احداث ثورة فى الطباعة وتصبح عاملا من عوامل النهضة الثقافية ببلدنـا وكل مـا نرجوه هو أن يقبل المعنيين بالأمـر على هـذه الطريقة بصفة جدية حتى تدخل حيـز التطبيـق ٠

عبد الله أحمدى ـ طالب بكلية الآداب ـ تونس

تعليــق

شكـرا للسيد عبد الله أحمدى على إهتمامه بهذا الموضوع وتمحيصه لما ورد فيه من آراء ٠ وشكـرا على نقـده واستخراجه لعيـوب الطـريقـة التى اقترحتها فى هذا المجال ٠ على أننى أجيبه عن مآخذه بما يلى :

أولا : ان وضع الحركات على الرابط لا يترتب عنه مبدئيا خلط بين الحروف وحتى اذا كانت الحركة بعيدة شيئا ما عن الحرف فان طبيعة الامور تقتضى ذلك إذ أن الحركة فى الحقيقة ليست لاصقة بالحرف ولا هى ذيلا له بل يجب أن تكون مستقلة شأنها كشأن الحركات الطويلة (ا و ى) (voyelles longues) وتاريخ إقحام الشكل فى النصوص العربية يدل على ذلك • إذ أن العرب ـ على ما يظهر ـ بعد أن كتبوا القرآن بدون حركات فى أول الأمر اضطروا الى اللجوء اليها خوفا من اللحن ولكنهم لم يتمكنوا من زيادتها بعد الحروف (consonnes) كما هو الشأن بالنسبة للحركات الطويلة خشية تشويه الكتاب المقدس فاقتصروا على إثبات الشكل فوق الحروف أو تحتها • لذا فان المسألة تنحصر فى التعود وفى قدرة مصمم الكتابة المطبعية على تلافى كل خلط •
وهذا مثال لذلك :

الكِتابَةُ النَّمُوذَجِيَّةُ

ثانيا : إن الحروف التى استنبطها لا تظهر مبتورة الا اذا وجدت منفردة تماما أما إذا اقترنت بالرابط فانها تصبح كاملة • ولو فرضنا أن الكتابة التى تنجر عن هذه الطريقة تظهر منحرفة شيئا ما فان ذلك لا يؤثر على ذوق الناشئين لأن المثال الذى عليه يسير المبتدىء ليس هو دائما الكتابة المطبعية • فاذا نظرت مثلا الى الفارق بين الحروف المطبعية اللاطينية وبين الكلمات التى يرسمها المعلم للمبتدىء فى السبورة أو فى الكراس تبينت أن ذلك لا يؤثر فى شىء على الذوق والحال أن الحرف المطبعى اللاطينى بعيد جدا عن الحرف بخط اليد • ثم ألم يحن الوقت بالنسبة إلينا أن يكون لنا أيضا حروف طباعة بأتم معنى الكلمة تخضع لمقتضيات التقنية المطبعية ولجمال الخط العربى • وأظن أن طريقتى راعت هاتين الناحيتين •

ثالثا : فيما يخص السكون فان ما لاحظته اشاطرك فيه ، ولعله من الأحسن إثباته ولو ادى إلى زيادة حرفين فى الجدول الذى رسمته سابقا •

وأخيرا أجدد شكرى للسيد عبد الله أحمدى راجيا أن أكون قد وفقت فى الرد تاركا للقارىء الكريم المجال للتقييم والحكم •

البشير بن سلامة

(*) الرجاء الرجوع الى الملاحظة الموجودة فى أسفل ص 77 •

حقيقة الناقدة والشاعرة الوهمية ...

بقلم : نور الدين صمود

بعد كل تلك البراهين والأدلة التى قدمتها فى العدد الاسبق ـ على أن السيدة **حلمى الهاشمى** ليست الا **الهاشمى الحمزاوى** فوجئت فى نفس العدد على صفحة 84 بوجود قصيدة بعنوان **(رضى)** شعر : **حلمى الهاشمى** مهداة « الى **جراح وحدى رضى التى لم تندمل بعد** » والقصيدة عبارة عن رثاء أم لولدها الوحيد ··· وقد جاء تحت اسم هذه الشاعرة المزعومة أنها « **مدرسة العربية بالمعهد الثانوى والاعدادى بالقصرين** » فكاتبت أحد زملائى السابقين فى شأن هذه الشاعرة ، وهو يدرس العربية فى المعهد المذكور بالقصرين فجاءنى منه الجواب التالى اثبته حرفيا :

تونس 68/3/24 [« وعلى الغلاف طابع (حفوز) »]

الى الصديق المحترم نور الدين صمود

تحية أخوية

لقد وصلتنى رسالتك التى طلبت منى فيها ان اعلمك عن السيدة « **حلمى الهاشمى** » التى قلت انها تعمل فى المعهد الثانوى والاعدادى بالقصرين ···

اذن يسرنى ان اعلمك ان هذه السيدة لا وجود لها البتة بالمعهد لا فى سلك الاساتذة ولا فى قائمة المعلمات المنتدبات ولا حتى فى سلك القيمات ··· وهذا من خلال القائمات الادارية نفسها زيادة على معرفتى الشخصية لكل الزملاء تقريبا ···

« **هذا كل ما يمكن أن أقوله لك عن هذه السيدة الخيالية** » ···

[صديقك : **عجلانى المولدى**]

وهكذا يتضح أن الهاشمى الحمزاوى لم يضع النقد فقط على لسان هذه السيدة الخيالية بل وضع على لسانها الشعر أيضا ، وللمبالغة فى التضليل جعلها تلد أيضا ··· ثم يموت وليدها الوحيد وترثيه كما تفعل الامهات فى مثل هذه الحال ·

لقد اتضحت لى أغراض الكتابة باسم امرأة فلا فائدة فى كشفها هنا ·

بقى لى أن أقول كلمة عن رد الهاشمى الحمزاوى فى العدد السابق والتى اعترف فيها ضمنيا بعدم وجود السيدة حلمى الهاشمى واضطرب فيها بين (المدح والقدح) ··· أقول له : ان كلمة ابن المقفع التى جاءت تحت ردى

لا صلة لها بموضوعى ولست انا الذى أنهيت بها الرد لانها جاءت بعد امضائى ولعلك لاحظت أن « الفكر » قد نشرت كلمة اخرى لابن المقفع فى نفس العدد من نفس الكتاب لابن المقفع ومن نفس الباب أيضا وذلك إثر قصيدة زبيدة بشير (ص 12) فهل معنى ذلك أن زبيدة بشير اختارت تلك الجملة لتنهى بها قصيدتها ؟ !

لقد دابت الفكر على هذه العادة وخاصة فى اعدادها الممتازة ولعلها أرادت أن تكرمنى بها أو كان نشرها هناك محض صدفة (1) .

على أنى لم أفهم بعض ما جاء فى ردك من مثل : « وبعد عناء كابده فى البحث عن حقيقة حلمى الهاشمى الخ ... »

فليس هنا كعناء فى البحث وانما هى بدائه ظاهرة . ثم ما دخل نظرية برقسون فى الحدس هنا ؟ ! ومن هم اولاد الحرام الذين لا يهدؤون ولا يدعون من يهدأ ؟ من هم اصحاب المؤامرة الخبيثة ؟ وما هو هذا الرماد الذى أقذى عيون بعض أدبائنا ؟ ومن هم هؤلاء الادباء ؟ ! ... وكيف يقع التصفيق للرماد ؟.. ومن أين لك بهذا [الغرور القاتل الذى ملأ نفوسهم فى دواعى طريق العظمة والحق ؟ واندمجوا فى محافل تهاويل المظاهر الخادعة يغتصبون منها ويطرحونها صورا لا روح فيها يتبرأ منها الصدق النبيل والذوق الرفيع (!) .

ولعل نور الدين هذه الايام أضاع ذاته فى محافل الالوان فبطر من الابتسامات وطفقت الخيالات الصادعة تنهال عليه وتنزهه عن كل نقص ...] كذا (!) .

الى آخر ما فى الرد من غموض وتعميم . وتناقض ومغالطة ...

أما مأساة الشيخ مصطفى فقد قلت فيها رأيى الذى أعتقده منذ أن أجبت السيدة حلمى الهاشمى الخيالية وليس لى أن أقول أكثر مما قلت هناك . ثم إن كشفى عن حقيقة السيدة حلمى الهاشمى لا يعد هروبا ولا يعد « بوليسية فى الادب » بل يعد من صميم النقد . فهل تريد أن تنكشف أمامى الحقائق فلا أبالى بها ؟ !

ولو انك اقبلت على (جوابى) بنفسية غير النفسية التى اقبلت بها عليه أول مرة لاقتنعت بوجهة نظرى ... على انه لا يهمنى اقتناعك او عدم اقتناعك فتاريخ الادب وحده هو الذى سيحكم فى هذه القضايا . واترك هذه الحواشى وانقد بنزاهة الشيخ مصطفى أو غير الشيخ مصطفى فانا احب النقد وقد دعوت له أكثر من مرة اذ به يحيا الأدب (*) .

ن. ص.

(1) « تعليق الفكر » : محض صدفة !

(*) بهذا الرد ننهى النقاش حول الموضوع الذى أثاره قصيد «الشيخ مصطفى» حرصا على اجتناب الوقوع فيما طالما نددنا به فى هذه المجلة من زيغ عن النقد الصحيح البناء ونرجو من الاخوان الذين شاركوا فى هذا « الملف » أن يطووا هذه الصفحة ؟ (الفكر) .

حول ندوة القراء

لما خصصت مجلة الفكر جانبا لندوة القراء كان ذلك ايمانا منها بحتمية تبادل الآراء والنقاش الصريح النزيه حول ما ينشر بالمجلة من آثار أدبية ٠٠ وفعلا فالمتتبع لصدور المجلة يمكنه ان يسجل ذلك بكل ارتياح ٠٠ ولكن منذ صدور عدد اكتوبر لهذه السنة بدأ رأينا فى هذا الركن يتغير فلم نلق ماكنا نتمناه من نقد نزيه وتحاور صريح نظيف منزه عن كل شتم وازداد استياؤنا مع ظهور الضجة الاخيرة حول قصيد الشيخ مصطفى لنور الدين صمود ٠

ان تعلقى بالمجلة التى جاهدت وكافحت هو الذى جعلنى اخط هذه الكلمات علها توقظ السادة المتجادلين وتبعث فى نفوسهم روح التآخى والتصافى ٠

لم نكن نتصور ان مستوى النقاش بين الاستاذين نور الدين صمود والهاشمى الحمزاوى سيتطور الى شتم وتنكيل ، خصوصا وان هذا لا يليق بشاعرين شهد لهما الكثير بالبراعة ورقة الاحساس وحسن الذوق ٠

صحيح ان لكل شخصيته يحاول الحفاظ عليها ولكن لا يمكن ان يذهب بنا ذلك الى حد ينزل بنا الى مستويات منحطة ٠

اننا فى بلادنا ندعو الى النقد النزيه الذى يرينا الداء والدواء معا ، ولا يكتفى بالتلميحات الركيكة ، بل نريده صريحا لا يهاب الردع ولا الاقذاع ٠ كل ذلك ايمانا منا ٠ بحتمية النقد ووجوبه ، لانه باعث من بواعث النهضة التى نصبو اليها فى أدبنا الفتى ٠

فمتى يتفهم أدباؤنا هذا ، ومتى يعمل كل منهم على توفير الاسباب لانجاحه حتى نرتقى بمستوى أدبنا الى أعلى الرتب بحيث يضمن له الصمود والاستقرار ٠٠٠ ومتى نرى ـ ندوة القراء ـ تعود الى هدفها الاسمى والمتمثل فى خدمة الثقافة والادب ، فلا تستخدم لاغراض اى كان ، بل نراها تشع فتهدى الى الطرق القويمة ٠

حمادى التهامى الكار

مطالعات

فاس في عصر بني مرين

تاليف : روجيه لوتورنو
تعريب : نقولا زيادة
تحليل : عبد الكريم غلاب

قرأت اخيرا كتاب (جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس) لعلى الجزنائى من اهل القرن الثامن الهجرى ، ولم يمض غير قليل حتى اهدانى صديقى الدكتور نقولا زيادة استاذ التاريخ والادب بالجامعة الامريكية فى بيروت كتابا جديدا ترجمه تحت عنوان : « فاس فى عصر بنى مرين » •

تذكرت وانا افتح غلاف الكتاب واتطلع الى عنوانه الكتب التى صدرت عن المدن المغربية : تاريخ تطوان للاستاذ داود ، تاريخ مكناس للمرحوم عبد الرحمن بن زيدان ، تاريخ مراكش للمرحوم العباس التعارجى • تاريخ اسفى للمرحوم محمد الكتانونى الخ • • • وتساءلت : لماذا لم ينهض عالم او مؤرخ لكتابة تاريخ فاس على غرار ما فعل الاساتذة الاجلاء الذين اضطلعوا بكتابة تاريخ امهات المدن المغربية ؟ وبقطع النظر عن رأيى فى اسلوب الكتابة عن المدن وعن الاسلوب الذى نهجه القدماء وتبعهم المحدثون من جمع كل ما يتصل بالمدينة من قريب او بعيد دون المحافظة على منهج خاص فى الدراسة والبحث ولا على موضوع خاص من الموضوعات التى تتصل بالمدينة ، بقطع النظر عن كل ذلك ، فالواقع ان فاسا حظيت فى القديم والحديث بكتب ارخت لكثير من جوانب حضارتها • ويكفى ان نذكر القرطاس لابن أبى زرع ولو ان حديثه عن فاس كان عرضا ، وتاريخ فاس لابى القاسم بن جنون ، والمقباس فى اخبار المغرب وفاس لعبد الملك الوارق ، والمقتبس فى اخبار المغرب وفاس والاندلس ، وجنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس •

وقد اهتم كثير من المحدثين بالكتابة عن فاس او عن بعض نواحى الحضارة بفاس • ومنهم الاستاذ عبد الهادى التازى الذى كتب عن حفلات الاعراس وتقاليدها • وكتب كثير من الاجانب وخاصة الفرنسيين الذين عاشوا فى المدينة العتيقة كتبا عن جوانب خاصة من عاصمة المغرب القديمة حتى كتب

احدهم عن فاس من خلال مطبخها . واستلهم كثير من القصاصين مدينة فاس فكتبوا عنها قصصا او وصفا واقعيا كما فعل الاخوان طارو .

والكتاب الذى بين ايدينا اليوم « فاس فى عصر بنى مرين » نموذج من الكتب التى صدرت عن فاس . وقد كتبه الاستاذ روجيه لوتورنو استاذ الحضور الاسلامية فى جامعة « اكس - ان - بروفانص » بفرنسا . وهو استاذ قديم من اساتذة مدرسة مولاى ادريس الثانوية بفاس ، عاش فى المدينة استاذا ومديرا للمعهد وكان متصلا بسكانها اتصالا وثيقا . وكان كسائر الفرنسيين الذين عاشوا فى الثلاثينات والاربعينات ذا افكار استعمارية رجعية انعكست على كتابين اخرين كتبهما عن « فاس قبل الحماية » و « فاس فى حياتها اليومية » وعاش لوتورنو كذلك فى تونس يتحمل مسؤولية ضخمة فيها هى مسؤولية ادارة التعليم . والادارة فى عهد الاحتلال تعنى الوزارة .

وقد نشرت الكتاب بالعربية فى بيروت مكتبة لبنان باشراف ومساهمة مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ونشر الكتاب فى « سلسلة مراكز الحضارة » وهى سلسلة تعنى بالمدن التاريخية التى عاشت فيها الحضارة قرونا ، وصدر منها قبل الكتاب الذى نتحدث عنه اربعة كتب عن امهات المدن الحضارية منها : « دمشق فى عصر المماليك » ، « اثينا فى عهد بركلين » و « شيراز مدينة الاولياء والشعراء » و « طيبة فى عهد انحوتب الثالث » . وكلها كتب مترجمة ، غير ان كتاب دمشق كتبه بالانجليزية وترجمه مؤلف عربى هو صديقنا الدكتور نقولا زيادة .

والدكتور زيادة هو الذى ترجم كتاب فاس فى عهد بنى مرين وهو ليس غريبا عن الدراسات المتصلة بالمغرب ، فقد زار المغرب العربى عدة مرات وكتب كتابا عن تاريخ تونس الحديث ، وتناولت كتبه العديدة شخصيات ومدنا مغربية فكتب عن مدينة مولاى ادريس « زرهون » وعن فاس ومراكش وتطوان ومكناس والمدن المهمة فى المغرب العربى كتونس والقيروان وطرابلس والجزائر وتلمسان . وكتب عن الرحالين المغاربة مثل ابن جبير وابن بطوطة والعبدرى وكتب عن شخصيات ادبية مغربية مثل اليوسى . فهو اذن من اكثر المؤرخين المحدثين اطلاعا على المغرب ودراية باهله ، وان كان لا ينصفه احيانا فيما يكتب من مقالات عارضة فى الصحف اللبنانية على اثر كل رحلة يقوم بها للمغرب .

فترة ازدهار

ونعود الى الكتاب فنجد ان مؤلفه اختار فترة ازدهرت فيها الحياة الحضارية بالمغرب وخاصة فى العاصمة المغربية فاس . وهى فترة امتازت بافول نجم الاشعاع الحضارى فى مختلف انحاء العالم الاسلامى الغربى حيث انحسر الاسلام عن الاندلس ، وان كان ما يزال يئن تحت سياط الصليبيين المهاجمين

فى غرناطة ، وانحسر دور العاصمة عن مراكش ، ولم تعد لتلمسان مكانتهـا ولا لتونس • وكانت دمشق وبغداد تئنان تحت وطأة الغزو التترى الذى سلط عليهما قبل ذلك • ولم تعد فى العالم الاسلامى الا عاصمتان مزدهرتان القاهرة عاصمة المماليك وفاس عاصمة بنى مرين •

هذه الفترة هى منتصف القرن الثامن الهجرى الذى تجمع لفاس فيه ما لم يتجمع لها من قبل من اسباب الازدهار الحضارى • وليس غريبا ذلك وقد تخلى النشاط عن مناطق مختلفة ليتركز كثير منه فى فاس بما تتوفر عليه من مركز استراتيجى وتجارى وحضارى وعلمى ، وما تجمع فيها من عناصـر بشريـة ساهمت فى اضفاء الوجه المشرق على المدينة التى احتضنتها وبثت فيها روح النضـال الفعـال •

والمؤلف كباحث متمكن يعود بالمدينة الى بداية عهدهـا بالحياة او قبل ذلك فيصور موقعها وطبيعتها والممكنات حولها التى ساهمت فى امـدادها بالماء ومواد البناء والاخشاب والنقل ويتحدث عن بداية بنائها او بناء المدن الثلاث التى تكونت منها « العدوتان وفاس الجديد » حديثا دقيقـا مصطبغـا بالطابع العلمى ، كما يتحدث عن اصل سكانها الذين انصهروا مـن عناصـر مختلفة فى عنصر واحد هو عنصر السكان الذين اعطوها طابعهـا الحضارى والثقافـى والصناعـى •

وقد لعبت فاس دورها الكبير فى العهود الاسلامية الاولى من حياتها فكانت عاصمة الادارسة ، وقامت بدورها كمركز عسكرى وتجارى فى عهدى المرابطين والموحدين ، وتهيأت فى عهدهما لتتبوأ مركزها كعاصمة مهمة لمـا دعاهـا الداعى لذلك فى ايام بنى مرين •

أهــل فــاس :

فى هذا الاطار الذى اعطى لمدينة فاس يتحدث المؤلف عن مختلف المظـاهر الحضارية الصناعية والتجارية والفكرية التى تمتعت بها فـاس واشعتهـا على المغرب باجمعه ، ويمتاز الكتاب فى وصف هذه المظـاهر بالـدقة والشمـول والتتبع للجزئيات • فهو كتاب مجموعة من المظاهر الـدقيقة لا مجمـوعة من الافكار عن حضارة فاس او الحضارة المغربية آنذاك • ولذلك نجده مثلا حينما يتحدث عن الطبقات الشعبية التى كانت تسكن فاسا عن عهـد المـرينيين لا يكتفى بالحديث الاجمالى عن هذه الطبقات ولكنه يعمد الى تحليلها ليتحدث عما تعينه عبارة « أهل فاس » التى ما تزال مستعملة حتى الآن • وهى الصفة التى تصهر سكان المدينة ولو كانوا فى اصلهم كما هو الغـالب قـادمين من أنحـاء المغرب ولو كانوا مختلفين فى المركز المـالى أو الثقـافى أو فى العمـل الذى يمارسونه • وحينمـا يتحـدث عن الادارة يحلـل وظيفـة الـوالى والقـاضى والمحتسب واتصال كل منهم بالدولة والشعب وتصرف كل منهم ازاء وظيفته والمواطنين الذين يستظلون بظل ولايتهم • ونجد حديثا مستفيضا عن القاضى (ص 63) من حيث شخصيته ودوره فى حياة المدينة والمرافق التى يشـرف

عليها • ويشير بالاخص الى السلطة الادبية التى كان يتمتع بها الى جانب السلطة القضائية • وبسلطته الادبية يستطيع ان ينشر الوفاق فى المدينة وكانت له صفة الاشراف على مالية المدينة كما كانت له صفة الاشراف على الحياة الفكرية والعلمية • ومن المهم ان ننقل من الكتاب هذه الشهادة التى تشرف تاريخ القضاء بالمغرب • قال لوتورنو : « ليس ثمة فى تاريخ بنى مرين خبر واحد عن قاض حاول ان يستغل نفوذه ليقوم بدور اكبر من الدور المرسوم له » •

التنظيم الاسلامى للسلطة

فى نطاق الادارة يتحدث المؤلف عن شيء مهم فى النظام الاسلامى وهو الشورى فيقول : « وقد كانوا (الموظفون) خاضعين مبدئيا للسلطان او وزرائه فقط ، ولم يكن عليهم ان يقدموا حسابا لسواهم • على ان هذا لم يكن ينطبق على الواقع • ذلك بانه اذا كان التنظيم الادارى للبلاد الاسلامية فى العصور الوسطى يقوم اصلا على مبدإ السلطة فقد كان يوجب الاخذ بمبدإ آخر اصلى فى العدالة الاسلامية العامة : وهو واجب المسؤولين فى التوصل الى جميع الحقائق قبل اتخاذ قرار ما • هذا الواجب الخاص المعروف بالمشورة لم يوضع له تشريع خاص الا انه كان يتبع عمليا •• ومثل ذلك يقال فى السلطان الذى كان عادة يستطلع راى العلماء فيما جل من شؤون الدولة كى يستوثق من صحة احكامه ، وكان يستشير الاعيان ليستطيع تحديد رد الفعل عند عامة الشعب » ص 67 •

ومن الصعب تتبع كل الجوانب الحضارية فى فاس كما تحدث عنها الكتاب فقد كان المؤلف كما قلنا حريصا على تتبع الامثلة التى لا يمكن ان تندرج تحت فكرة عامة ، ولكن لكل منها مدلوله الحضارى لان كلا منها ناشىء عن عمل انسانى وفكرى ويدوى • وارتباط كل منها بالآخر يعطى لحضارة المغرب (التى تمثلها فاس فى هذا العصر) طابع الدقة والشمول والمعرفة والتكامل وهكذا نجده يتحدث عن الخدمات العامة كتوزيع المياه فى المواسير على الدور والاحياء بدقة متناهية وكبناء الحمامات العمومية والنظافة العامة والشرطة والحراسة ونظام السجون والمستشفيات والنقل ، وادارة الاوقاف والتوثيق • ويخرج المؤلف من تحليل هذه الخدمات العامة بان هذا التنظيم كان يكفى اهل فاس حاجاتهم ، وذلك لان الحياة كانت تعتمد على النظام الجماعى ولو انها كانت مجزأة الى عدد كبيّر من الخلايا • ص 87 •

هل وجد مسيحيون فى فاس ؟

ويتناول المؤلف الحياة اليومية فى فاس ايام بنى مرين فى فصل خاص ويتبعها بدقة متناهية • فهو يبدأ قصة الحياة اليومية بوصف المنزل وسكانه وخدمه • ويصف الغذاء وملابس الرجال والسيدات والعادات التقليدية فى

المصاهرة والزواج والافراح والولادة والختان والجنازة وعمـل المـرأة اليـومى والالعاب الشائعة ـ ولم يذكر منها الا الشطرنج ـ والتنزه وحياة القصاصين والتدخين والانحراف الخلقى •

ويتحدث فى صفحات قليلة من هذا الفصل عـن حيـاة المسيحيين (؟) واليهود المغاربة • ورغم انه لم يستطع ان يثبت ان المسيحيين كانوا موجودين فى فاس ، الا انه يقول : من المحتمل انه كان ثمة مسيحيون فى فاس من قبل اذ ان احد ابواب المدينة فى عدوة الاندلس كان يسمى باب الكنيسة الا انهم اندثروا منذ ايام الموحدين على التأكيد او لعل ذلك تم قبل ايـامهم • ولم يكن فى فاس فى القرن الثامن اى من المسيحيين الاتين من اوروبا باستثناء بعض الاسرى • اما عن اليهود فيؤكد المؤلف انهم استعادوا مكـانتهم فى العهـد المرينى بعد ان كان الموحدون شديدين فى معاملتهم • ويتحدث عن حياتهم بشىء من الدقة ولكن فى غير تفصيل •

وفى نطاق الحياة اليومية يتحدث الكتاب عن حياة البلاط المرينى اليومية فى عاداتها وتقاليدها الدقيقة •

ثـلاثة منـابع للفـن

ومركز المدينة لم يكن يتركها بمعزل عن النشاط الاقتصادى ، بـل كان يعطيها دور القيادة فى الصناعة والتجارة والفنون الجميلة • ويحاول المؤلف ان يتتبع التطور الصناعى الذى انتعش مبكرا فى فاس بفضل الوافدين من القيروان وقرطبة وتفاعل مع الفن البربرى الاصيل حتى تكون فى المدينـة ثلاثـة نماذج فنية : فن قرطبى وفن قيروانى وفن بربرى • وتدخلت الفنون فى الصناعة فكانت فى المدينة نحو 150 هيئة او حنطة تعمل جنبـا الى جنب ، وهى التى انعشت المدينة والمغرب كله بالتبعية ، وانعشت التجارة التى كانت تصل الى اعماق القارة الافريقية مجتازة الصحراء كما تصل الى المغرب العربى• يفصل المؤلف الحديث عن كثير من هذه الصناعات التى كانت تجعل المغـرب فى اكتفاء ذاتى عن الاستيراد • ويكفى ان نضرب مثلا بصناعة الثياب لنعرف انه فى القرن العاشر الهجرى كان فى فاس ما يزيد عن 5000 مصنع للحياكـة تشغل 20 الف عامل •

والحضارة الصناعية كانت تقوم على التكامل ، فكل ما تحتاجه من ادوات يصنع فى فاس نفسها •

وكانت الصناعة ـ كالصناعات الحديثة تماما ـ تخلق ميدانا عماليا ونظاما لتنظيم الطوائف الحرفية فى نقابات (الحنطة) كانت تؤدى دورها خير قيام بالنسبة « للمعلم » و « الصانع » و « المتعلم » وكلهـم يعملـون بتعـاون فى

قطاعهم الصناعى · ولا ينسى المؤلف ان يتحدث عن دور الصناع وعمال الصناعة فى المجال الاجتماعى والسياسى على السواء ·

الحياة الفكرية

واغلب الظن ان طابع الشمول فى الكتاب هو الذى جعل المؤلف يختصر الحديث عن الحياة الفكرية فلا يلمس الا ظواهرها المتعلقة بالتعليم فى القرويين ، ولكنه ـ وهو يشيد بمناصرة بنى مرين للتعلم العالى فى فاس ويعتبرهم المؤسسين الحقيقيين لجامعة فاس ـ يعتبر الثقافة تقليدية لم تكن تتعدى نقل التراث من جيل الى جيل· ولم تكن «الحقيقة» التى ينقلها العلماء ناتجة عن التجربة الانسانية ، بل الحقيقة الالهية التى اوحى الله بها الى نبيه الكريم (ص 177) ويأخذ على المرينيين انهم لم يتيحوا المجال للفلاسفة والمفكرين كما فعل الموحدون ولو انهم اتاحوا الفرصة لمؤرخين وأدباء امثال ابن خلدون وابن الخطيب وابن مرزوق · يخرج بنتيجة هى : « ان الثقافة فى فاس كانت ترمى الى اخضاع الفرد وجعله لا يعدو ان يكون وعاء نقيا يتسع للحقيقة المجردة » ·

ويتحدث المؤلف عن الحياة الدينية فى فاس التى تستمدها من مركزها ومن انها مدينة اسسها الاشراف وتقوم فيها جامعة اسلامية ، ولان طبيعة الحياة ونمطها اليومى يقوم على الدين · ويتخذ المؤلف هذا الفصل مناسبة ليتحدث عن اداء المواطنين الفرائض الخمس والاحتفال بالاعياد الدينية والتى تصطبغ بالدين ولو لم تكن دينية بالمعنى الكامل · ويخرج بنتائج هامة عن مظاهر التقوى الجماعية والفردية التى كان يعيش عليها المواطنون · وقد كانت تقوى عميقة رصينة حتى ان مدينة فاس لم يبد عليها منذ انشائها الى ايام بنى مرين ، ولم يبد عليها حتى اليوم آثار بدعة او « تنكب عن سوى العقيدة مما قد ينتهى الى ثورة من اى نوع » ويفسر ذلك بان « اهل فاس بالنسبة الى المجال الدينى وغيره لم يتخلوا عن اعتدالهم الطبيعى ، ليس بينهم صوفى عظيم كالحلاج او مصلح دينى مثل ابن تومرت · ان تقواهم نشيطة مليئة بالحياة يشترك فيها الجميع ، لا تستعصى على التوق الصوفى ، الا انها قبل كل شىء انسانية وديعة ·· ص 206 ·

ليست فاس مدينة اسرار

ان المؤلف من خلال هذه النظرة المتعمقة يعيش بعقله مع فاس كما يعيش بروحه واذا كان لا يأمل لفاس مستقبلا رائعا فى المجال الاقتصادى والحضارى الذى ساهمت فيه بقسط كبير واتخذت مركز القيادة فى المغرب العربى ، فانه يختم كتابه القيم عن فاس بهذه العبارة الجامعة « ليست فاس كما يقال كثيرا ، مدينة الاسرار ، بل مدينة الحس الصحيح والحياة الجيدة ، ولعل هذه هى ميزتها الرئيسية وهى صفة ، والحق يقال ، عظيمة ، وعظيمة بحق » ·

رغم هذا الاحساس بالدور الحضاري الذي قامت به فاس ورغم الالمام الواسع الدقيق المحكم المركز بمظاهر الحضارة الفاسية في عصر بني مرين ، فان المؤلف لم يتعمق كثيرا روح الحضارة المغربية فغرق في المظاهر اكثر من التحليل والتعليل ٠

عكاظيات فاس

اسجل ملاحظة تتصل بالجانب الفكري والادبي على الاخص وهي المسابقات الشعرية التي كان المرينيون ينظمونها حتى كان للشعر سوق في البلاط المريني ، وينقل في ذلك عن الحسن الوزان هذا الخبر : « كان المنشد (الشاعر) يقف على ضفة مرتفعة ، وعند ما كان المحكمون من اصحاب الكفاءات يُصدرون حكمهم كان السلطان يمنح الشاعر المبرز مائة قطعة من الذهب وفرسا وجارية ويلقي عليه الثوب الذي يرتديه ، وكان يمنح كلا من الشعراء الباقين خمسين قطعة من الذهب » ٠

اسجل هذه البادرة لعلها تضمد الراي الشائع من ان المغاربة لم يكونوا في تاريخهم يعنون بالادب والشعر بخاصة ٠

وأسجل ايضا حقيقة مهمة اوردها المؤلف حينما تحدث عن الادارة والشرطة (ص 78) حينما قال : « ان الاجرام كان نادرا في فاس ، لان السكان كانوا اكثر تمسكا بالفضيلة منهم في اماكن اخرى ، ولكن بسبب استقرار السكان كانت الحياة في الاحياء المحلية منظمة وكان الجميع يعرفون بعضهم بعضا ، وكان كل منهم يعرف عادات الافراد الآخرين ، لذلك كان من الصعب ان يخرج اى من السكان عن سواء السبيل » ٠

وأسجل أيضا الفكرة التي أشار اليها من ان تعدد الزوجات والطلاق والتسري لم يكن ما لوفا وشائعا في فاس رغم انه مباح (ص ١٠٢) ٠

ولست ابالغ في شيء اذا سجلت ان ترجمة الكتاب كانت موفقة وان المجهود الذي بذله الدكتور زيادة في الترجمة واستقصاء الاصطلاحات واستعمال الكلمات المغربية في مدلولاتها الحقيقية لا يقل عن المجهود الذي بذله المؤلف في جمع المعلومات وتنسيقها وتحليلها ٠

ع٠ غ٠

أضواء الفكر

◆ **الاغنيـة التـونسية :**
نظم نادى أبو القاسم الشابى ملتقى لبحث واقع الاغنيـة التـونسية أيام 12 ، 13 و 14 افريل وافتتحه السيد محمد مـزالى مدير هذه المجلة بمحاضرة حلل فيها الاغنية وعلاقتها بالثقافة القومية وحـدد منـزلتها بين المتفـائلين والمتشائمين وأشار الى ضرورة تكوين اطارات موسيقية عليا كفيلة بتحقيـق نهضة شاملة فى دنيا الفن والموسيقى خاصة ونحن نشكر نـادى أبو القـاسم الشـابى وخاصة رئيسه الاستاذ الطـاهر قيقـة على هذه العناية بكل أوجـه الثقافة التونسية ·

◆ **محمد العقربى فى ذمة الله :**
توفى بليبيا إثر حادث سيارة الفنـان الكبير محمـد العقـربى الذى خدم الموسيقى والمسرح بتونس ما يقارب عن النصف قرن رحمه الله ورزق أسرة الثقافة التونسية جميل الصبر ·

◆ **التربيـة الاجتماعيـة :**
صدر العدد الاول من السلسلة الجديدة لمجلة التربية الاجتماعية لديوان تعليم الكهول وهى مجلة دورية تبرز كل ثلاثـة أشهر وقد جـاء هذا العـدد حافلا بالمقالات التى تنير المواطنين ·

◆ **ديوان الحرية :**
صدر فى سلسلة كتاب العلم المغربية ديـوان الحريـة للشاعـر الفقيـد عبد الكريم بن ثابت · وهى مجموعة من القصائد قدم لها الكـاتب المعـروف عبـد الكريـم غـلاب ·

◆ **مجلـة الايمـان :**
فى العددين الاخيرين 9 و 10 (فيفرى مارس 1968) لمجلة الايمان مقالات وقصائـد خصصت لدراسة القرآن بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزوله

◆ **طه حسين ورأيه فى الشعر والادب :**
···هل يمكن ان تفصل لنا رأيك فى الشعر والقصة والنقد الذى يكتبه هذا الجيل من الادبـاء :
الدكتور طـه : مع الاسف الشديد هذا الجيل من الادباء قليلا مـا يرسـل الى آثـاره الادبية والشىء الذى ليس فيه شك هو ان ما ينشئه الجيل مـن الشعر او النثـر محتاج الى عمق وقوة وتأثير ، ومصدر هذا ان اكثـر كتـاب الشباب عندنا لا يكادون يقرأون لا فى الاداب العربية ولا فى الاداب الاجنبية للغات التى يعرفونها · دائما هم مشغولون عن هذا كله بهذه الظواهر الجديدة

التى ظهرت لتثقيف الجماهير مثل الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح وما الى ذلك ، فاوقاتهم تذهب فى هذا وفى قراءة الصحف • واذا قرأوا الصحف كانوا قد بذلوا جهدا غير قليل قد يكون وقتهم اضيق من ان يقرأوا الصحف كما ينبغى ان تقرأ فى هذه الايام واذا لم يتعمق الكاتب او الشاعر قراءة التراث القديم ولا قراءة الاداب الحديثة فقلما يحسن انتاجه الادبى •

وسمعت احاديث كثيرة عما يسمونه بالشعر الجديد فى هذه الايام وليس لى اى اعتراض على ان يجدد شعراؤنا فى شعرهم كما يحبون • الا ان هذا شىء طبيعى فالعرب القدماء انفسهم قد جددوا فى الشعر ايام امية وايام العباسيين وفى الاندلس وهم فى اكثر الاحيان كان تجديدهم تقصيرا للاوزان القديمة لتلاؤم الموسيقى التى ادخلوها عندهم • وتلائم الغناء الذى استحدثوه مع عزف الآلات الموسيقية •

وفى الاندلس كان التجديد اشد فكثرت الموشحات فما اباح التجديد لقدماء العرب يبيحه للعرب المحدثين • واضف الى هذا ان الشعراء الاوروبيين فى فرنسا وغيرها من البلاد الاوروبية قد جددوا هم ايضا فى الشعر • فذهبوا الى الشعر الحر وجددوا فى الاوزان الى اخر ما صنعوا فهذا حق طبيعى •

وانما الذى اريده من شبابنا ومن شعرائنا المعاصرين اذا جددوا فى الشعر ان يأتونا بشىء نستطيع ان نسميه شعرا حقا فيه ما ينبغى ان يكون فى الشعر من المعانى والصور الجميلة ومن الموسيقى اللفظية التى تخلب السمع •

سيادتك علقت على الموسيقى اللفظية للشعر ومعنى هذا ان سيادتك مهتم بالقافيــة ؟

الدكتور طـه : لا اهتم بالقافية وانما اهتم بان تكون الفاظ الشعر ونظامها موسيقيا • لان الفرق بين الشعر وبين النثر هو أن النثر مرسل والشعر مقيد ولست اطالب بان يلتزم شعراؤنا القيود التى التزمها القدماء من العرب بل لهم ان يبتكروا ما شاءوا من الاوزان او من النظام الذى يجعل الالفاظ موسيقية • ومن كتابنا القدماء والمحدثين من بلغوا من الاجادة ان يكون نثرهم موسيقيا •

••• هل يتعارض يا سيدى ان يكون الكاتب ملتزما بمبدأ اجتماعى كالاشتراكية مثلا مع انه يكون فنانا اصيلا ؟

الدكتور طـه : كلا يا سيدى هذا لا يتعارض مطلقا وعندك من الادباء الشيوعيين فى روسيا من يصلون الى ارقى مراتب الانتاج الادبى فى بلادهم مع تقيدهم بمذهبهم الشيوعى الجديد • واذا كان الشيوعيون يصلون الى انتاج الادب الرفيع فالاشتراكيون وهم اقرب الى الاعتدال احق بان يصلوا الى هذا ايضا ـ وحتى اذا شاء احد ان يصبح شيوعيا فمن حقه ان يفعل ذلك الا اذا كان يريد ان يهدم النظام بالقوة •

« روز اليوسف » (القاهرة)

الفهـــرست

العـدد 8 ـ مـاى 1968 ـ السنـة الثـالثة عشـرة

الفكر
مجلة ثقافية

تصـدر بتـونس شهريـا
مؤسسهـا ومديرهـا المسؤول
محمـــد مـــزالى
رئيـس التحريـر
البشير بن سلامة

الادارة : 13 نهـج دار الجلـد ـ تـونس
تليفـون : 260.778
الحسـاب الجـارى : 33769 ـ تونس
العنوان : صنـدوق البريـد 556 ـ تونس

- تصدر مجلة الفكر عشر مرات فى السنة وتحتجب فى شهر اوت وسبتمبر
- قيمة الاشتراك السنوى :
  اشتراك عادى فى تونس د 2 ديناران
  اشتـراك الانصـار د 5 دنـانير
  خارج تونس 2.500د دينارا ونصف
- الاشتراكات يرسل معلومها فى حوالة بـريـدية باسم المجلة او يصب فى حسابهـا الجـارى : 337.69 تونس
- الرسائل لا ترد نشرت ام لم تنشر
- المراسلات تكون جميعا باسم :
  مديـر مجلة الفكـر
  صنـدوق البريـد عدد 556 ـ تـونس

EL FIKR - Revue mensuelle culturelle -13° Année - N° 8 - Mai 1968

طبع وحفر الشركة التونسية لفنون الرسم 20 نهج المالطيين ـ تونس